البرهان
في بيان القرآن

للعلامة الموفق أبي محمد

عبد الله بن أحمد بن قدامة الحنبلي

[٥٤١ هـ - ٦٢٠ هـ]

صاحب المغني

تحقيق

الدكتور/ سعود بن عبد الله الفنيسان

مكتبة الهدى النبوي الإسلامية

بورسعيد

ت ٢٢٨١١٩

البرهان

في بيان القرآن

للعلامة الموفق أبي محمد

عبد الله بن أحمد بن قدامه الحنبلي

[٥٤١ هـ — ٦٢٠ هـ]

صاحب المغنى

تحقيق

الدكتور/ سعود بن عبد الله الفنيسان

مكتبة الهدى النبوي الإسلامية

بورسعيد

ت : ٢٢٨١١٩

صورة عن النشرة الأولى لهذه الرسالة والتي نشرت في مجلة البحوث الإسلامية

العدد :(٩

والتي تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة بالرياض

الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ

الناشر
مكتبة الهدي النبوي الإسلامية
شارع ١ بجوار مسجد الهدى النبوى
بور سعيد
ت : ٢٢٨١١٩

البرهان في بيان القرآن

للعلامة الموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامه الحنبلي

المتوفى سنة ٦٢٠هـ

تحقيق

الدكتور/ سعود بن عبد الله الفنيسان

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، نبينا محمد ، وعلى آله وصحابته أجمعين .

وبعد :

فقد اطلعت على مخطوطة (البرهان في بيان القرآن) للموفق أبى محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ، فوجدتها اسما طابق المسمّى ، ولفظا وافق المعنى ، وجدتها صغيرة الحجم ، كثيرة الفائدة ، كتبت بأسلوب جزل سهل .

ومما شجعني على القيام بتحقيقها : أنها من تأليف أحد أعلام الحنابلة ، وأنها من آخر ما كتبه ابن قدامة ؛ فقد كتبها قبل وفاته ـ رحمه الله ـ بأربع سنوات فقط .

وأيضا : أنها نسخة فريدة فقد بحثت في فهارس المخطوطات في الجامعات والمؤسسات العلمية داخل المملكة فلم أجد أي إشارة إليها ، بحثت ـ أيضا ـ خارج المملكة في قوائم المخطوطات في كل من تركيا وسوريا ومصر وتونس والمغرب ، فلم أجد نسخة أخرى .

ومما دفعني أنه لا يكاد يعرف للحنابلة مؤلفات في التفسير وعلوم القرآن إلا ماندر وإنما عرفوا بمؤلفات في الفقه والعقيدة ؛ وتراثهم في التفسير وعلوم القرآن لا يقل عن ذلك ، غير أنه لم يحظ بالعناية والنشر ، بقدر ما عنيت به سائر كتبهم .

وإن المطلع على كتب التراجم وقوائم المخطوطات ليذهل جدا من وفرة إنتاج الحنابلة في هذا المجال ، وجهل الكثيرين له .

وقد اتخذ الموفق ابن قدامة في كتابه الذي بين أيدينا طريقة واضحة في الرد على دعاوي الخصوم وأوهام المتخرصين ببيان القرآن بالقرآن أو بالسنة النبوية ، وهما أصح طرق تفسير القرآن .

ومن ميزة كتابة ابن قدامة ؛ وبالأخص في كتابه (**البرهان في بيان القرآن**) أنه بعد ذكر الخلاف والاستدلال ، يذكر ملخصا لما سبق بعبارة موجزة وواضحة .

وبعملي في تحقيق هذا الكتاب ، لا أدعى أنني أوفيته حقه ، ولكن أحسب عملي فيه وضَّح غامضه ، وأوضح مشكله ، وقبل هذا كله : إخراجه إلى النور لتعم به الفائدة .

والنية متجهة ـ إن شاء الله ـ في المستقبل إلى تتبع مؤلفات الحنابلة في التفسير وعلوم القرآن ، وجمعها في كتاب ، ليستفيد منه الدارسون والباحثون .

والله أسأل الهداية والتوفيق .

وصلى الله على نبينا محمد وسلم .»

سعود بن عبد الله الفنيسان

أبو محمد الموفق ابن قدامـــة
(٥٤١ ـ ٦٢٠)

مولده ونشأتـــه :[١]

هو أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي المقدسي الجمَّاعيلي ـ بتشديد الميم ـ إلى «جمَّاعيل» قرية من أعمال نابلس في فلسطين . ولد ـ رحمه الله ـ في شعبان سنة (٥٤١) للهجرة . وتلقى العلم وهو صغير فحفظ القرآن بقراءة (نافع) على شيخه علي بن أبي الحسن البطائحي . وبقراءة (أبي عمرو) على شيخه أبي الفتح ابن المُنّى ـ بضم الميم وتشديد النون ـ .

نشأ الموفق ـ رحمه الله ـ في بيت علم وتُقَىً وفقه وصلاح . وظهر من بيت آل قدامة ما يزيد على (٣٠) عالما مجتهدا ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ورحل الموفق لطلب العلم إلى بغداد ودمشق ومكة والموصل . ولقد عاش الموفق في حقبة من الزمن كانت الأوضاع السياسية مضطربة ، وكان الإفرنج مستولين على بيت المقدس . فكان أبو محمد من أول من شارك في جهاد الصليبيين ، يجاهدهم بلسانه ويده تحت قيادة البطل المسلم (صلاح الدين الأيوبي) وقد خصص له ولأخيه خيمة خاصة في العسكر .

---

(١) انظر ترجمته في الذهبي : سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢) ، وابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة (١٣٢/٢) ، وابن كثير : البداية والنهاية (٩٦/١٣) ، وأبي شامة : الذيل على الروضتين (ص ١٣٩)،وابن العماد : شذرات الذهب (٨٨/٥) ، وابن شاكر : فوات الوفيات (١٥٨/٢) .

شيوخه وتلاميذه :(١)

أخذ الموفق العلم على عدد من العلماء في شتى الفنون ؛ سواء كانوا رجالا أم نساء فممن أخذ عنهم .

شيوخـــه :

الشيخ عبد القادر الجيلاني . وهبة الله بن الحسن الدقاق . وأبو الفتح ابن البطي . وأبو زرعة بن طاهر . وأحمد بن محمد الرحبي . والمنذري ، وآخرون . ومن أخذ عنهن من النساء العالمات الفاضلات : خديجة النهروانية ، ونفيسة البزازة ، وشهدة الكاتبة .

تلاميـــذه :

وتتلمذ عليه عدد كبير من العلماء لا يحصون ، مثل : الجمال بن موسى الحافظ ، وابن نقطة ، وابن خليل ، وأبى شامة ، والجمال بن الصيرفي ، ويوسف الغسولي ، وزينب بنت الواسطي ، وغيرهم .

وقد انتشر علمهم ونفع الله بهم الناس . وسنترجم ترجمة موجزة لبعضِ شيوخه وتلاميذه . فمن شيوخه : ـ

أبو الحسن البطائحي (٤٩٠ ـ ٥٧٢)هـ .

هو : علي بن عساكر بن الرحب بن العوام البطائحي المقرىء ، إمام في القرآن والسنة والنحو . قرأ عليه : الموفق ابن قدامة ، بقراءة (نافع) . وأخذ عنه : الوزير ابن هبيرة . وحدَّث عنه : الحافظ ابن الأخضر ، وعبد الغني المقدسي ، وعبد القادر الرهاوي .

انظر : الذيل لابن رجب (٣٣٦/١) ، وابن العماد ـ شذرات الذهب (٢٤٢/٤) .

---

(١) انظر : شيوخه وتلاميذه في ترجمته ـ الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (١٦٦/٢٢ ـ ١٦٧) ، وذيل الطبقات لابن رجب (١٣٣/٢) .

عبد القادر الجيلاني : (٤٩٠ ـ ٥٦١)هـ .

هو : أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الجيلاني البغدادي الحنبلي . شيخ زاهد ، سمع الحديث من أبي غالب الباقلاني ، وجعفر السراج ، وأخذ الفقه عن أبى الخطاب الكلوذاني وابن عقيل ، والقاضي أبي الحسين ، حتى برع في المذهب والخلاف والأصول .

انظر : الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٣٩) ، والذيل لابن رجب (١/٢٩٤)

أبو الفتح بن البطي : (٤٧٧ ـ ٥٦٤) هـ .

هو : محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سليمان البغدادي . قال عنه الموفق ابن قدامة : هو شيخنا وشيخ أهل بغداد . ودرس عليه الفقه .

انظر : الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٠/٤٨١) ، والدمياطي ـ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد (ص ١٩) .

ابن الخشـاب : (٤٩٢ ـ ٥٦٧)هـ .

هو أبو محمد بن الخشاب عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد ابن عبد الله بن نصر البغدادي . مُحدِّث حافظ فقيه حنبلي ، عالم بالتفسير والحديث ، حجة في النحو . حدَث أن دخل عليه أحد أصحابه وهو مريض وعلى صدره كتاب ينظر فيه ، فقال له : ما هذا ياشيخ ؟ قال : ذكر ابن جني مسألة في النحو واجتهد أن يستشهد عليها ببيت من الشعر فلم يحضره ، وإني لأعرف على هذه المسألة سبعين بيتا من الشعر كل بيت من قصيدة .

مات ـ رحمه الله ـ عزبا ولم يتزوج ./ انظر : الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٢٣) ، وابن العماد ـ شذرات الذهب (٤/٢٥٥) .

ابن الجوزي : (٥١٠ ـ ٥٩٧)هـ .

هو العالم الحافظ الواعظ الفقيه الحنبلي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي . ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق . له تصانيف كثيرة تزيد على (٢٥٠) مصنفا . سمع من أبي القاسم بن الحصين ، وابن الزاغوني ، وابن البطي ، ومحمد بن الحسن الماوردي ، وآخرين . وأخذ عنه : الحافظ ابن عبد الغني المقدسي ، وأبو محمد الموفق ابن قدامة ، والضياء المقدسي ، وابن النجار ، وآخرون .

انظر : الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٢١) ، والذيل لابن رجب (٣٩٩/١) .

المنذري : (٥٨١ ـ ٦٥٦)هـ .

هو الحافظ أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة المنذري . محدّث فقيه شافعي . قال فيه الذهبي : لم يكن في زمانه أحفظ منه . درس على ابن دقيق العيد في أول أمره ، فلما برز في العلم درس عليه ابن دقيق العيد في آخر حياته .

له : كتاب «الترغيب والترهيب» و «مختصر سنن أبي داود» .

توفي بمصر وله (٧٥) سنة .

انظر : السبكي ـ طبقات الشافعية (١٠٨/٥) ، وابن العماد ـ شذرات الذهب (٢٧٧/٥)

ومن تراجم بعض تلاميـذه : ـ

الضياء المقدسي : (٥٦٩ ـ ٦٤٣)هـ .

هو : ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد المقدسي الجماعيلي الحنبلي . صاحب التصانيف الكثيرة . أخذ العلم

عن الحافظ السلفي ، وشهدة الكاتبة ، وأحمد بن الموازيني ، والحافظ ابن عبد الغني ، والموفق ابن قدامة ، وآخرين . وأخذ عنه : ابن نقطة ، وابن النجار ، والعز بن الفراء . ألف في سيرة كل من : الموفق ابن قدامة ، والحافظ عبد الغني أربعة أجزاء .

انظر : الذهبي سير أعلام النبلاء (١٢٦/٢٣) ، وابن العماد ـ شذرات الذهب (٢٢٤/٥) .

ابن نقطة : (٥٧١ ـ ٦٢٩)هـ .

هو : الإمام الحافظ المتقن أبو بكر بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع البغدادي الحنبلي . كان ثقة حسن القراءة ، جيد الكتابة ، له سمة ووقار ، وفيه ورع وصلاح . أخذ عنه العلم : عبد العظيم المنذري ، وأبو الشيخ عمر بن الحاجب . ألف مستدركا على (الإكمال) لابن ماكولا .

انظر : الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٣٤٧/٢٢) ، والذيل لابن رجب (١٨٢/١) .

ابن النجار : (٥٧٨ ـ ٦٤٣)هـ .

هو : أبو عبد الله العالم الحافظ المحدِّث المؤرخ محمد بن محمود بن حسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي . أخذ العلم عن ابن الجوزي ، وشهدة الكاتبة . وأخذ عنه : ابن الصابوني ، والفتح محمد القزاز .

له تصانيف كثيرة ، منها : «ذيل تاريخ بغداد» و «المتفق والمفترق» ، وكتاب «جنة الناظرين في معرفة التابعين» و «مناقب الشافعي» .

انظر : الذهبي ـ سير أعلام النبلاء (٢٣/١٣١) ، والسبكي ـ طبقات الشافعية (٥/٤١) .

أبو شامـــة : (٥٩٩ ـ ٦٦٥)هـ .

هو : عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الشافعي النحوي المفسر المقرىء الفقيه المؤرخ . ختم القرآن وهو صغير لم يبلغ عشر سنين ، وأخذ القراءات عن السخاوي وله ست عشرة سنة . ولحق به الشيب وهو ابن خمس وعشرين سنة فقط . سمع من الموفق ابن قدامة ، والعز بن عبد السلام .

له : كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» النورية والصلاحية ، وضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري ، وشرح المفصل للزمخشري ، وشرح سنن البيهقي .

انظر : ابن الجزري ـ غاية النهاية في طبقات القراء (١/٣٦٥) ، وابن العماد ـ شذرات الذهب (٥/٣١٨) .

آثـــاره العلميـــة :(١)

لقد خلف أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة آثارا علمية كثيرة ، منها المطبوع ، ومنها المخطوط ، وهي : ـ

في الفقـــه :

ـ المغني شرح الخرقي يقع في عشرة مجلدات ضخمة . تعب فيه المصنف وأجاد وجمل به المذهب .

ـ الكافي (ثلاثة مجلدات) . ألفه الموفق للمتوسطين من طلاب العلم ، حرر به رواية المذهب بعبارة موجزة مع الاستدلال .

---

(١) راجع : ذيل الطبقات لابن رجب (٢/١٣٩) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي (٢٢/١٦٨) .

ـ المقنع (ثلاثة مجلدات) مع حاشية عليه منسوبة للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . وقد ألف الموفق كتابه «المقنع» للمتقدمين من طلاب العلم ؛ حيث ضمن كل مسألة عدة روايات في المذهب ، ليتعودوا على تخريجها . وقد شرح المقنع ابن أخي الموفق الشيخ عبد الرحمن بن أبي عمر (ت ٦٨٢هـ) وسماه «الشرح الكبير» ويقع في ستة مجلدات كبيرة .

ـ العمدة (مجلد واحد) . ألفه للمبتدئين في الطلب ، فهو مختصر سهل العبارة ، يقرن المسألة بالدليل أحيانا .

ـ مقدمة في الفرائض ـ جزء لم يطبع .

ـ مناسك الحج ـ مجلد لم يطبع .

ـ مختصر الهداية ـ مجلد لم يطبع .

ـ الشافعي ـ مجلدان لم يطبعا .

في أصول الفقه :

ـ روضة الناظر وجنة المناظر ـ مجلد .

في التفسير وعلوم القرآن :

ـ البرهان في مسألة القرآن ؛ وهو هذا الكتاب ، وسيأتي وصفه .

ـ ذم التأويل ـ مطبوع .

ـ جواب مسألة في القرآن ـ وردت من «صرخد»[1] ـ لم تطبع .

ـ الصراط المستقيم في بيان الحرف القديم ـ جزء لم يطبع ، وهو موجود عندي .. أرجو أن أوفق في إخراجه ، إن بقى في العمر بقية .

---

(١) قرية من قرى الشام بقرب حوران .

ـ المناظرة لأهل البدع في القرآن ـ لم يطبع[1] .
ـ مسألة في تحريم النظر في كتب أهل الكلام لم تطبع .
ـ رسالة إلى الشيخ فخر الدين إبن تيمية في تخليد أهل البدع في النار لم تطبع .

في الحديث :

ـ كتاب التوابين مجلد مطبوع .
ـ مختصر في الغريب مجلد لم يطبع .
ـ مختصر العلل للخلال مجلد لم يطبع .
ـ مشيخة شيوخه جزء لم يطبع .

في التوحيـد :

ـ لمعة الاعتقاد جزء مطبوع .
ـ كتاب القدر جزءان لم يطبع .
ـ مسألة العلو جزءان لم يطبع .
ـ فضائل الصحابة جزءان لم يطبع .

لعلهما كتاب واحد .

ـ منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لم يطبع .

في اللغة والأنساب :

ـ قنعة الأريب في الغريب مجلد لم يطبع .
ـ التبيين في نسب القرشيين مجلد مطبوع[2] .
ـ الاستبصار في نسب الأنصار مجلد لم يطبع .

---

(١) لم أجد من ذكره غير الروداني (ت ١٠٩٤هـ) في فهرسته : «صلة الخلف بموصول السلف» . ولا يزال مخطوطاً .

(٢) تحقيق : محمد نايف الدليمي (١٤٠٢هـ) من منشورات المجمع العلمي بالعراق .

في الفضائل والزهد :

- كتاب المتحابين في الله — جزءان — لم يطبع .
- كتاب الرقة والبكاء — جزءان — لم يطبع .
- فضائل عاشـــوراء — جزءان — لم يطبع .
- فضائل العشـــر — جزء — لم يطبع .
- ذم ماعليه مدعو التصوف . ذكره الزركلي في الأعلام وقال : إنه مطبوع .
- ذم الموسوسين — مجلد — مطبوع .
- وصيتـــه — جزء — لم يطبع .

هذا كله وعلاوة على التخريجات والفتاوي والرسائل الكثيرة .[1] .

وقد ضَمَّن أحد الشعراء بعض كتب ابن قدامة في قصيدة مدحه بها ، منها قوله :

وفي عصرنا كان الموفَّقُ حُجَّةً ... على فقهه ثبت الأصول محوّل
كفي الخلق بـ «الكافي» وأقنع طالبا ... بـ «مقنع» فقه عن كتاب مطوّل
وأغنى بـ «مغني» الفقه مَن كان باحثا ... و «عمدته» من يعتمدهما يحصّل
و «روضته» ذاتُ الأصول كروضة ... أماست بها الأزهار أنفاس شمأل

ولعل هذه الكتب ، هي أشهر مؤلفات الموفق ابن قدامة وأكثرها انتشارا .

---

(١) هذه كل ماذكره المترجمون له قديما وحديثا ، وأزيد على ذلك أربعة كتب ، هي : الرد على أبي الوفاء ابن عقيل ، وكتاب المناظرة ، وكتاب المنع ، وكتاب الهادي في الفقه ، ذكرها الروداني في كتابه المخطوط «صلة الخلف بموصول السلف» .

فضلـــه وعلمـــه :

كان ـ رحمه الله ـ عالما فاضلا ورعا تقيا ، إماما في التفسير وعلوم القرآن ، وفي الحديث ومشكلاته ، وفي اللغة والأنساب . أما في الفقه والأصول : فلا يشق له غبار . كان مناظرا قوي الحجة . قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية : «ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الموفق» وكفى بهذه الشهادة من قبل ابن تيمية ، وكان ـ رحمه الله ـ يراعي حال المستمعين والقارئين . فإذا كتب بيده أو أملى علما راعى حال المستفيدين منه ، فنجده لما ألف في الفقه ، ألف بمستويات ثلاثة : (المغني) للعلماء المجتهدين من المذهب أو خارجه . و (الكافي) للمتوسطين من طلاب العلم في المذهب . و (العمدة) لطلاب العلم المبتدئين .

ولذا لا يكاد يقرأ له قارىء إلا أخذ بجودته وبيانه ؛ وخاصة في كتابه (المغني) . يقول الشيخ العز بن عبد السلام : «ما طابت نفسي بالفتيا حتى صار عندي نسخة من المغني» .

كان ـ رحمه الله ـ يقرض الشعر ويتلذذ به ، فمما قاله يرثي به نفسه ويتذكر به الموت :

أتغفَلُ يابنَ أحمدَ والمنايا ... شوارعُ تَخْتَرِمْنَكَ عَن قريبِ
أغرّك أن تُخطئك الرزايا ... فكم للموتِ مِن سهمٍ مصيبِ
كُؤوسُ الموت دائرةٌ علينا ... وما للمرء بُدَّ مِن نَصيبِ
كأنك قد لَحِقت بهم قريبا ... ولا يغنيك إفراطُ النحيبِ

ويقول :

أبعدَ بياضِ الشعرِ أعمرُ مَسكنا ... سوىٰ القبرِ إني إنْ فعلتُ لأحمقُ
يُخبّرني شيبي بأنّيَ ميّتٌ ... وَشيكا وينعاني إليَّ فيصدقُ

كأني بجسمي فوقَ نعشٍ مُمَدَّداً فَمِن ساكتٍ أَوْ مُعوِلٍ يَتحرَّقُ
إذا سُئلوا عني أجابوا وأعولوا وأدمعُهم تنهلُ : هذا الموفَّقُ

وقال في عزة النفس وعدم ابتذالها :

لا تجلِسَنَّ ببابِ مَنْ يأبىٰ عليك دُخولَ دارهْ
وتقولُ حاجاتي إليه يعوقُها إنْ لَمْ أُدَارِهِ
اُتْرُكْهُ واقْصِدْ رَبَّها تُقْضَىٰ وَربُّ الدارِ كارِه

وفاتـــه :

توفي أبو محمد الموفق ابن قدامة يوم عيد الفطر سنة (٦٢٠) للهجرة ، وله تسع وسبعون سنة ، وخلف بنتين وثلاثة ذكور ، وهم : محمد ويحيى وعيسى ، ماتوا كلهم في حياته ولم يبق له عقب . رحمه الله رحمة واسعة وجمعنا به في مستقر رحمته .

التعريف بالكتـاب المحقق

اسمه وتوثيق نسبته للمؤلف :

لقد دُوّن على غلاف المخطوطة مانصه : كتاب «البرهان في بيان القرآن» تأليف : الشيخ الإمام العالم العلامة إمام المسلمين موفق الدين أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ـ رحمه الله تعالى وعفى عنه .

ذكره الإمام الذهبي (ت ٧٤٨) هـ في سير أعلام النبلاء ضمن مؤلفات الموفق باسم «البرهان» ، وذكر أنه جزء . وذكره ابن شاكر (ت ٧٦٤)هـ في فوات الوفيات كما ذكره الذهبي ، غير أنه قال إنه جزءان .

وذكره كل من ابن رجب (ت ٧٩٥) هـ وابن العماد (ت ١٠٨٩) هـ . والبغدادي (ت ١٣٣٩)هـ باسم «البرهان في مسألة القرآن» . وذكر

ابن رجب أنه جزء . وكل هذه الأسماء الثلاثة ـ كما ترى متفقة على أن اسمه «البرهان» ... وأنه لأبي محمد الموفق ابن قدامة غير أن التسمية الأولى تزيد "في بيان القرآن" ، والتسمية الثالثة تصفه بأنه في مسألة القرآن .

والتسمية الأولى «البرهان في بيان القرآن» لم أجد من ذكرها غير ما سطر عنوانا للمخطوطة . ويظهر لي أن ابن قدامة لم يسمه إلا بـ «البرهان» فقط . وهذه الزيادة إنما هي من بعض النساخ .

واخترت التسمية الأولى دون غيرها لاعتبارات ، منها : ـ

١ ـ أن هذه التسمية هي المثبتة في المخطوطة ، وهي نسخة فريدة ، كما سنبين هذا قريبا .

٢ ـ أن دلالة جملة «في بيان القرآن» على مضمون ما في المخطوطة أدق ؛ حيث رد المصنف على القول : إن حروف القرآن مخلوقة بأدلة مسهبة من القرآن والإجماع وأقوال العرب ، ثم قرر مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بنصوص من القرآن والسنة فقط ، ولم يعول على أدلة أهل الكلام .

٣ ـ لو وصف بـ «بيان مسألة القرآن» لدلت على الرد على المعتزلة بقولهم بخلق القرآن بأدلة عقلية فقط على طريقة المتكلمين ، وابن قدامة لم يسلك مسلكهم في هذا ؛ بل بين أن الأشاعرة ومن سايرهم قد أخطأوا في ردهم على المعتزلة بأسلوبهم وطريقتهم الكلامية ؛ حيث وقعوا فيما فروا منه فوافقوهم حيث أرادوا مخالفتهم .

وصف النسخة الخطية :

هي نسخة فريدة بقسم المخطوطات بالمكتبة المركزية ـ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية برقم [٢٢١٩ ـ علوم وقرآن] وهي (١٧)

لوحة تتراوح أسطرها من ٢٣ ـ ٢٤ ، وتتراوح عدد كلمات كل سطر من ١٢ ـ ١٤ كلمة ، ومقاس اللوحة من ٢٥ : ١٧ سم . وهي ضمن مجموع . وهذه النسخة مصورة من مكتبة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان بمكة المكرمة رقم (٤٢) .

وهي بخط مقروء ، وكثيرة الأخطاء النحوية والإملائية .

والنسخ بقلم عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب في شهر محرم سنة ١٢٥٦هـ . وقد نسخت هذه عن النسخة الأولى التي كتبت سنة ١٢٢٩هـ . وكان في النسخة الأم ما صورته : فرغ منه يوم الأحد في الغر الأول من ذي الحجة سنة (٦١٦)هـ . ولا يوجد على المخطوطة أي سماعات أو تهميش غير هذه الأبيات الشعرية مكسرة الوزن : ـ

يقولون لي هلا سعيت مشمرا لجمع اللهي من عند باد وحاضر
واياك والتشمير في العلم إنه صفة لفقر مدقع متكاثر
فقلت رضيت العلم حسبا ومطلبا ومالا وذخرا وهو خير الذخائر
ونعم من قد قال من قبل ناظما نظما ما حلا حسنا نفيس الجواهر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فاته منها فليس بضائر

من هو الناسخ[1]

هو : الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن أحمد بن راشد الوهبي التميمي ، ينتمي نسبه إلى عدنان ، وهو ابن أخي الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ، ولد في بلدة حريملاء ، وقرأ على والده ، وكان قاضيا فاضلا وانتقل مع والده إلى الدرعية سنة ١١٩٠هـ وأجرى لهم عمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من النفقة ما يكفيه

---

(١) انظر : البسام ـ علماء نجد خلال ستة قرون (٤٥٨/٢) .

وأهله ، وتفرغ لطلب العلم على عمه المجدد وعلماء الدرعية وبقي فيها حتى دمرها إبراهيم باشا ، ثم عاد إلى حريملاء حتى جاءت الحملة التركية الثانية بقيادة حسين بك سنة ١٢٢٦ هجرية ـ وقبض على الشيخ عبد العزيز ونهب ماله وحبسه ونكل به ، وأشعل النار في مكتبته ، ثم أفرج عنه وذهب إلى الأحساء وأقام بها ، حتى توفي سنة ١٢٦٤هـ ـ رحمه الله وغفر له .

موضوع الكتاب وأهميته :

يبحث الكتاب في حقيقة الحرف في القرآن الكريم ، وهل هو قديم أو حادث ؟ وهو بيان بخطأ الأشاعرة أثناء ردهم على المعتزلة بالقول بخلق القرآن ، وأسلوب الكتاب في معالجة هذه القضية أسلوب متفرد ؛ حيث لم يستخدم الكلام الجدلي والإلزامات العقلية كعادة أهل الكلام ومن شابههم ، ولكنه عالجها عن طريق الآيات الصريحة في الدلالة والأحاديث الصحيحة في المعنى ، مع استخدام دلالة اللغة العربية على المعنى المراد ؛ وهذا منهج أهل السنة والجماعة الذي جاهد فيه ووقف عنده الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ ويعتبر الإمام الموفق رائدا في هذا المنهج التأليفي ، ولما جاء ابن تيمية وتلميذه ابن القيم سلكا مسلكه ـ عليهم رحمه الله ورضوانه .

ـ ومما يزيد الكتاب أهمية : أنه لم يطبع من قبل ، بل إن ابن قدامة والحنابلة كلهم لا يكاد يعرف لهم مؤلفات برزوا فيها غير الفقه ، وهذا ظن مجانب للصواب ؛ فإن مؤلفاتهم في الحديث وعلومه والقرآن وعلومه ليست بأقل من الفقه ؛ بل تزيد ، غير أن المطبوع منها لايكاد يذكر ، في حين أن فقههم حظي بخدمة لم يحظَ بها التفسير وعلوم القرآن .

ـ ومن أهمية هذا الكتاب : أنه لابن قدامة خاصة أبرز علماء الحنابلة في عصره ، صاحب التصنيف البارع والصيت الذائع .

منهج التحقيق

لقد اتبعت الخطوات التالية في تحقيق (البرهان في بيان القرآن) لابن قدامة .

على النحو التالي : ـ

١ ـ وضعت بين هذه المعقوفتين [ ] كل مازدته على النص ، مما توقف عليه المعنى واقتضاه السياق ، وأشرت إلى ماجاء في أصل المخطوطة في الهامش .

٢ ـ ترجمت ترجمة صغيرة للأعلام الوارد ذكرهم في المخطوطة .

٣ ـ عزوت الآيات إلى سورها من القرآن الكريم ، ووضعتها بين هذين القوسين ( ) .

٤ ـ خرجت الأحاديث والآثار وبينت درجتها من الصحة ، أو الضعف ، ووضعتها بين قوسين صغيرين هكذا . « » .

٥ ـ وضحت بالهامش ما رأيته غامضا من الألفاظ أو المعاني .

٦ ـ وضعت فهارس للآيات والأحاديث والآثار والأشعار ، والأعلام ، والمصادر ، والمراجع ، والموضوعات .

كتاب البرهان في بيان القرآن

تأليف الشيخ الإمام العالم

العلامة إمام المسلمين

موفق الدين أبي محمد

عبد الله بن أحمد

بن محمد

بن قدامة

المقدسي رحمه الله

وعفى عنه

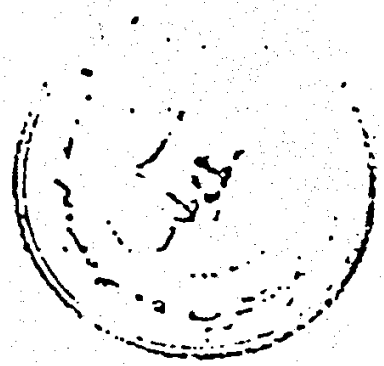

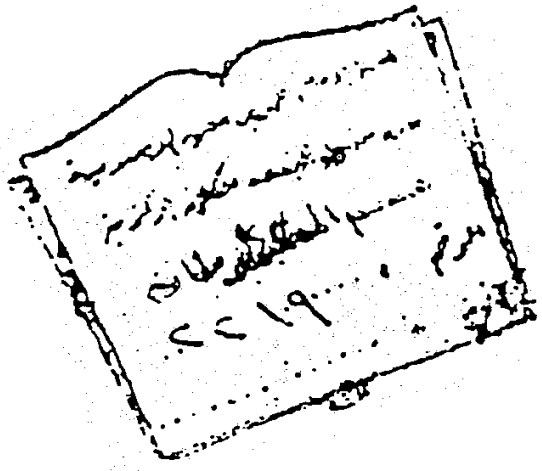

أبيات شعر على غلاف المخطوطة

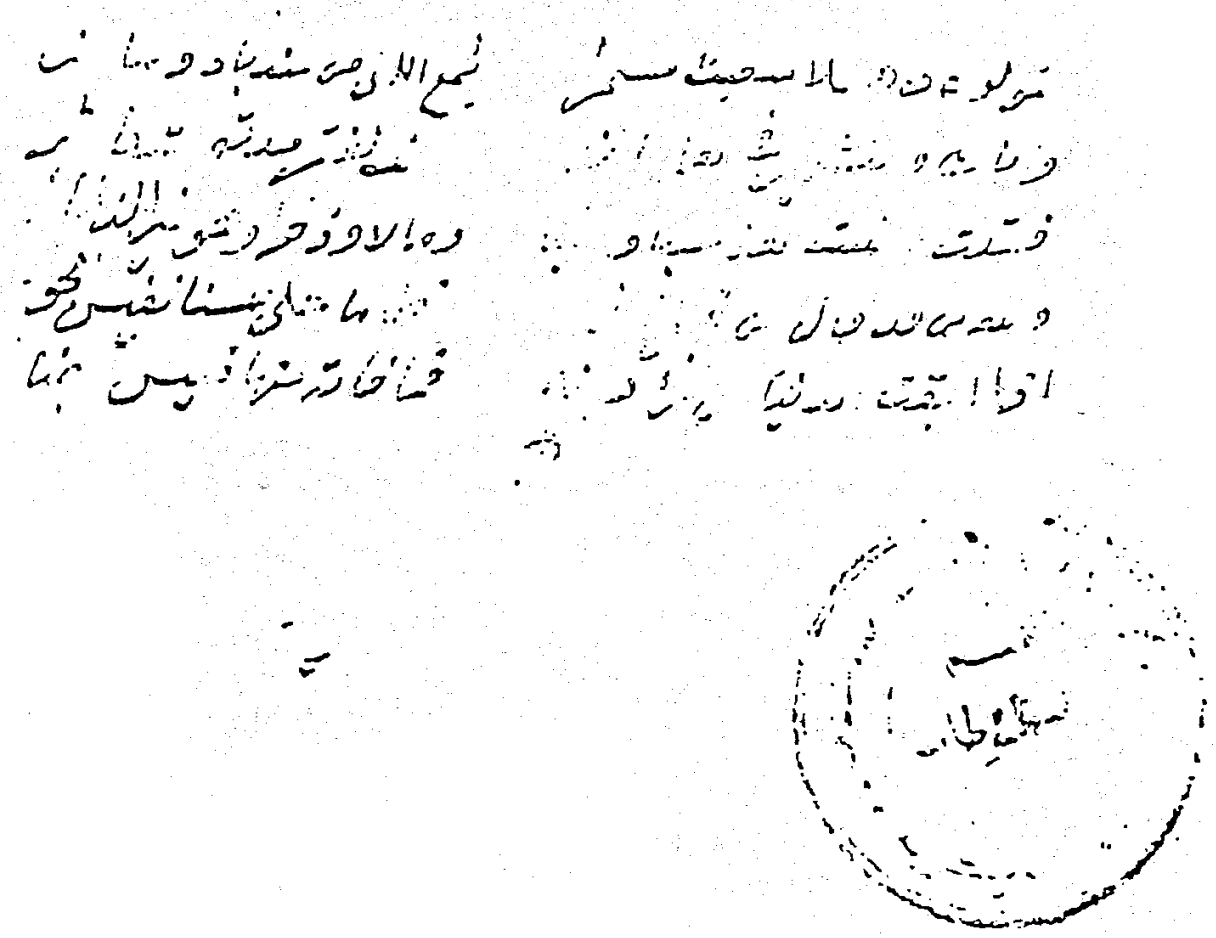

أبيات شعر على غلاف المخطوطة

الورقة الأولى من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة المسند موفق الدين أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى ورضي عنه الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله أجمعين

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

مذهب أهل السنة والجماعة والذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ومن بعدهم من أئمة الإسلام أن القرآن كلام الله القديم وحبله المتين وكتابه المبين نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين وهو سور وآيات وحروف وكلمات منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات نزله الله تنزيلاً ورتله ترتيلاً وسماه قولاً ثقيلاً ووعد على تلاوته أجراً عظيماً فقال عز من قائل إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً وشهد الله وملائكته بإنزاله على رسوله وحض على تدبره وترتيله وأخبرنا بإحكامه وتفصيله ونعى على تحريفه وتضييعه وعجز الخلق عن الإتيان بمثله أو تبديله فقال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً وقال أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وقال لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً وهو هذا الكتاب العربي الذي هو مئة وأربع عشرة سورة أولها الفاتحة وآخرها المعوذتان مكتوب في المصاحف

متلوة

انقطع معهم الكلام وزال الحجاج والخصام **الثاني** ان الله تعالى
انزل على عبده الكتاب وشهد الله وملائكته بانزاله والذين
سمعوا الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وعلى قولهم هؤلاء
ما انزل الله على بشر من شيء ورد وا شهادة الله وملائكته وكذبوا
قوله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وان قالوا هذا قولنا
ورد عليهم كما ذكرنا ويزيدانهم كذبوا الله تعالى في قوله قل لئن
اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وعلى قولهم قد اتوا بمثله وقال الله
تعالى فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال الله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم
من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاخبر الله
انهم لن يفعلوه وهؤلاء يقولون قد فعلنا وهذا قولنا وكلامنا
وشعرنا وما هو اكثر مع فصاحتهم وقدرتهم على انواع الكلام
الفصيح من الشعر والنثر والنظم والخطب والبليغة والرسائل
المسجعة عقد مضى هذا بعد ان عرض عليهم وتحداهم به فاقروا
بالعجز عنه فكيف ادعى هؤلاء معكم لكنهم وعيهم ان هذا الكلام
القديم تحولهم وتضليلهم **الثالث** ان هذا ان كان حقا فيجب
ان يفصح به ويظهر به لسلاطين المسلمين وعامتهم ويعلنوه
في محافل المسلمين ومجامعهم ويقولوا على منابر المسلمين هذا
تصنيفنا وكلامنا وقولنا ولن يسلكوا سبيل الزنادقة
الذين اسروا الكفر وابطنوه واظهروا الاسلام ووافقوا
المسلمين فيه وهؤلاء يسلكون مسلكهم ويتبعون طريقتهم يعظمون
القرآن في الظاهر بين المسلمين ويحترمونه ويقومون للمصحف

ويقبلونه

الورقة الأخيرة من المخطوطة

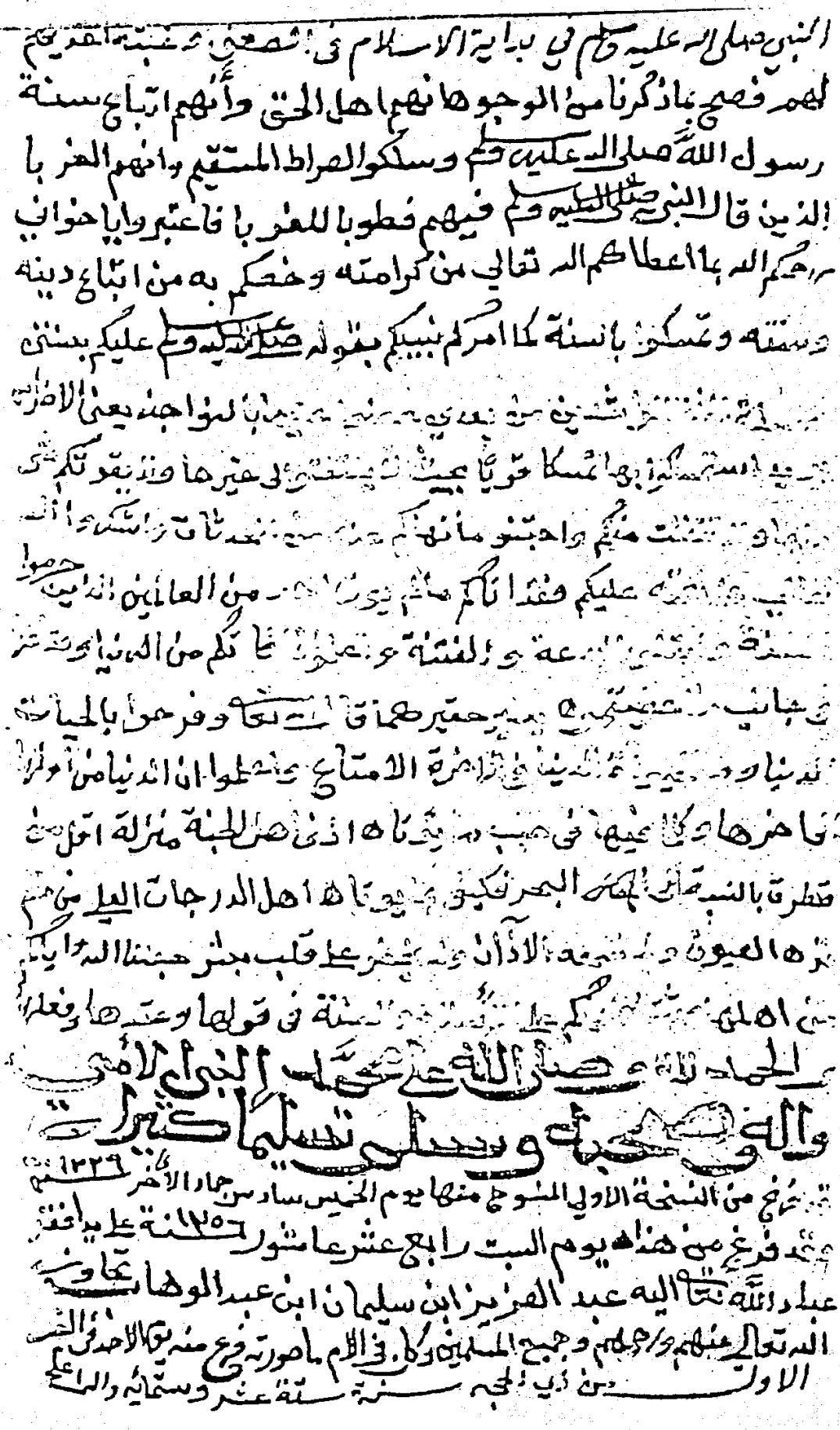

النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الإسلام في أصحابه وعشيرته الأقربين
لهم فصح بما ذكرنا من الوجوه أنهم أهل الحق وأنهم اتباع سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلكوا الصراط المستقيم وأنهم الغرباء
الذين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم طوبى للغرباء فاعتبروا يا أولي
رحمكم الله بما أعطاكم الله تعالى من كرامته وخصكم به من اتباع دينه
وسنته وتمسكوا بالسنة كما أمركم نبيكم بقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ يعني الأضراس
واستمسكوا بها تمسكا قويا بحيث لا يلتفت إلى غيرها ولا يعوقكم عن
العمل بها عائق ولا يثنيكم عنها عاثر واعلموا أنه
لا يصيب أحدا منكم مصيبة إلا بذنب عليكم فقد أتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين الذين حرصوا
على البدعة والفتنة وعملوا بها أتاكم من الدنيا وهي
في جانب ما عندهم حقيرها قال تعالى وفرحوا بالحياة
الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وعلموا أن الدنيا من أولها
إلى آخرها كما فيها في جنب ما أعد الله لأهل الجنة مثل أحدنا
يضرب إصبعه في البحر فلينظر بم يرجع أحدنا وأهل الدرجات العلى من
الجنة يراهم أهل عليين كما يرى الكوكب الدري الغابر في أفق
السماء من تباعد ما بينهم وبين أهل عليين فاعتبروا يا أولي
الأبصار وتدبروا يا أولي الألباب واعلموا أن الله تعالى حكم على هذه الأمة
بالفرقة في الدين كما حكم على الأمم السالفة في قولها وعملها وفعلها
فالحمد لله وصلى الله على محمد النبي الأمي
وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

فرغ من النسخة الأولى المنسوخ منها يوم الخميس سادس جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦
وقد فرغ من هذه يوم السبت رابع عشر عاشوراء سنة ١٣٥٦ على يد أفقر
عباد الله تعالى إليه عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب عاونه
الله تعالى عليهم وعلى جميع المسلمين وكان في الأم ما صورته فرغ منه يوم الاحد الثاني
الأول من ذي الحجة سنة ستة عشر وسبعمائة والله أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم إمام المسلمين موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله أجمعين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

مذهب أهل السنة والجماعة ، والذي كان عليه رسول الله ﷺ ـ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان ، ومن بعدهم من أئمة الإسلام : أن القرآن كلام الله القديم[1] ، وحبله المتين ، وكتابه المبين ، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين ؛ وهو سور ، وآيات ، وحروف ، وكلمات . منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات لمن قرأه فأعربه ، فله بكل حرف عشر حسنات نزله الله تنزيلا ، ورتله ترتيلا ، وسماه قولا ثقيلا وعد على تلاوته أجرا عظيما ، فقال عز من قائل ﴿**إنَّا نحنُ نزَّلنا عليك القرآنَ تنزيلاً**﴾[2] وشهد الله وملائكته بإنزاله على رسوله ، وحض على [تدبره][3] وترتيله ، وأخبرنا بأحكامه ، وتفصيله ، ونص على تشريفه ، وتفضيله ، وعجز الخلق عن الإتيان بمثله ، أو تبديله . وقال تعالى : ﴿ **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ لَا يَأْتُون بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُم لبعضٍ ظَهيرًا** ﴾[4] وقال : ﴿ **أَفَلا يَتدَبَّرُونَ القرآنَ وَلَوْ كَانَ مِن عندِ غَيْرِ اللهِ**

---

(١) صفات الله مبناها على التوقيف وهذا اللفظ ليس منها . ومن صفاته أنه الأول الذي ليس قبله شيىء والسياق يقتضي أنه وصف للقرآن ويراد بالقدم أنه غير حادث إذ كل حادث مخلوق والقرآن ليس كذلك فهو كلام الله منزل غير مخلوق .

(٢) الآية : ٢٣ من سورة الإنسان .

(٣) في الأصل (تدبير) والأولى ماذكرناه .

(٤) الآية : ٨٨ من سورة الإسراء .

لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾[1]

وقال : ﴿ لَكِنِ اللهُ يَشهدُ بمآ أَنزلَ إِليكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ باللهِ شَهِيداً ﴾[2] .

وهو هذا الكتاب العربي الذي هو مائة وأربع عشرة سورة ، أولها الفاتحة ، وآخرها المعوّذتان[3] ، مكتوب في المصاحف ، مَتْلُوٌّ في المحاريب ، مسموع بالآذان ، مَتْلُوٌّ بالألسن له أول وآخر ، وأجزاء ، وأبعاض .

والدليـــل :

أن هذا هو القرآن **الكتاب** ، **والسنـــة** ، **والإجمـــاع**

أما الكتاب : فمن وجوه :

أحدهـــا : أن الله ـ سبحانه ـ تحدى الخلق بالإتيان بمثله ، فقال سبحانه : ﴿ **قُل لَّئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجِنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يَأتُونَ بمثلِهِ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيرًا** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **أَمْ يَقولُون تَقَوَّلَهُ بل لّا يؤمنون فليأتوا بحديثٍ مثلِهِ إن كانوا صادقين** ﴾[5] وقال سبحانه : ﴿ **وإن كنتم في ريبٍ ممّا نزّلنا على عبدِنا فأتوا بسورة من مثلِهِ وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ **وما كان هذا القرآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ من دونِ**

---

(١) الآية : ٨٢ من سورة النساء .
(٢) الآية : ١٦٦ من سورة النساء .
(٣) لو قيل آخره (الجنة والناس) لكان أدق .
(٤) الآية : ٨٨ من سورة الإسراء .
(٥) الآية : ٣٣ من سورة الطور .
(٦) الآية : ٢٣ من سورة البقرة .

الله ﴾[1] وقوله : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورةٍ مثلهِ ﴾[2] وقال : ﴿ فأتوا بعشر سُوَرٍ مثلهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾[3] .

والتحدي إنما وقع بالإتيان بمثل هذا الكتاب بغير إشكال ؛ لأن مافي النفس لايدرى ماهو ، ولا يسمى سورا ، ولا حديثا ، فلا يجوز أن يقول : فأتو بحديث مثل ما في [نفس][4] الباري» . ولأن المشركين إنما زعموا أن النبي ـ ﷺ ـ افترى هذا القرآن ، وتقوَّله فردَّ الله عليهم دعواهم بتحديهم بالإتيان بمثل ما زعموا أنه مفترىً ومُتقوَّل دون غيره ، وهذا واضح لا شك فيه .

الثاني : أنهم سمَّوْهُ شعرا ، فقال الله تعالى : ﴿ **وما علَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وما ينبغي لهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَّقُرآنٌ مُّبِينٌ** ﴾[5]

ومن المعلوم أنما عَنَوا هذا النظم ؛ لأن الشعر كلام موزون ، فلا يسمى به معنى ، ولا ماليس بكلام ، فسماه الله ـ تبارك وتعالى ـ ذكرا ، وقرآنا مبينا ، فلم [يبق[6]] [شك[7]] لذي لُبٍّ في أن القرآن هو هذا النظم دون غيره ، وكذلك سموه مُفترىً . فقال الله تعالى : ﴿ **وما كان**

---

(١) الآية : ٣٧ من سورة يونس .

(٢) الآية : ٣٨ من سورة يونس .

ووجه الاستدلال من الآية : أنهم لم يستطيعوا أن ينالوا من القرآن في أسلوبه أو نظمه ، مع أنهم أهل الفصاحة والبيان ، ولو وجدوا فيه مطعنا ـ وحاشاه ـ لما ادخروا في ذلك وسعا .

(٣) الآية : ١٣ من سورة هود .

(٤) في الأصل «في النفس» بالتعريف والصواب ماأثبتناه .

(٥) الآية : ٦٩ من سورة يس .

(٦) في الأصل (يبقى) بالألف المقصورة ، والصواب حذفها بالجزم .

(٧) في الأصل غير واضحة ، ولعل ما أثبتناه يستقيم به المعنى .

﴿ هذا القرآنُ أَن يُفترىٰ من دون الله ﴾[1] ﴿وقال الذين كفروا إِنْ هذا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قومٌ آخرون ... وقالوا أساطيرُ الأوّلين اكتتبها فهي تُملىٰ عليه بكرةً وأصيلاً ﴾[2] فرد الله عليهم قولهم ، فقال : ﴿ قل أَنزلَهُ الذي يَعْلَمُ السِّرَّ في السَّماواتِ والأرض ﴾[3] . وقالوا : ﴿ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾[4]. فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾[5] وهذا لا يتعلق إلا بهذا النظم ، وقد رد الله عليهم وأخبر بكونه قرآنا .

الثالث : أن بعض الكفار زعم أنه يقول مثله ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا تُتْلَىٰ عليهم آياتُنا قالوا قد سَمِعْنا لو نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هذا﴾[6] . ومنهم من طلب تبديله ، قال الله تعالى : ﴿ وإذا تُتْلَىٰ عليهم آياتُنا بيِّنَاتٍ قَالَ الّذينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾[7] ونهى بعضهم [بعضا عن سماعه وأمروا[8]] باللغو فيه فقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لا تَسْمَعُوا لِهَذا القرآنِ وَالْغَوْا فيهِ ﴾[9] [وقال] : ﴿ وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ علىٰ رجلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظيم ﴾[10] [وقال] : ﴿ وقال الذين كفروا لَن نُّؤْمِنَ بِهذا القرآنِ ولا بالذي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[11]

---

(١) الآية : ٣٧ من سورة يونس .
(٢) الآيتان : ٤ ـ ٥ من سورة الفرقان .
(٣) الآية : ٦ من سورة الفرقان .
(٤) الآية : ١٠٣ من سورة النحل .
(٥) الآية : ١٠٢ من سورة النحل .
(٦) الآية : ٣١ من سورة الأنفال .
(٧) الآية : ١٥ من سورة يونس .
(٨) في الأصل بياض ، ولعل الصواب ماذكرناه .
(٩) الآية : ٢٦ من سورة فصلت .
(١٠) الآية : ٣١ من سورة الزخرف .
(١١) الآية : ٣١ من سورة سبأ .

ومن المعلوم البيّن : أن هذا كله لا يتعلق إلا بهذا الكتاب دون ما في النفس ، فإن الكفار ما اعتقدوا في نفس الباري شيئا يريدون تبديله ، أو يزعمون أنهم يقولون مثله ، ولا ينهون عن سماعه ، ولا التمسوا تبديله على غير النبي ـ ﷺ ـ مع إشارتهم إلى [حاضر][1] .

الرابع : أن الله سمى القرآن عربيا . فقال : ﴿**قرآناً عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ**﴾[2] أي غير مخلوق ، وقال : ﴿ **إِنَّا جعلناهُ قرآناً عربيًا** ﴾[3] .

وقال : ﴿ **بلسانٍ عربيٍ مُّبينٍ** ﴾[4] . وقال : ﴿ **ولو جعلناهُ قرآنا أَعجميًّا لقالوا لولا فُصِّلَتْ آياتُهُ** ﴾[5] . وسمّاه حديثا بقوله : ﴿ **فَذَرْني وَمَن يُّكَذِّبُ بهذا الحديثِ** ﴾[6] . وقال تعالى : ﴿ **اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ** ﴾[7] . وقال : ﴿ **فَلْيَأْتُوا بِحديثٍ مِّثلِهِ** ﴾[8] . وقال : ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِن اللهِ حَدِيثاً** ﴾[9] . وإنما يتعلق هذا الوصف باللفظ دون المعنى .

الخامس : أن الله تعالى ـ أشار إليه إشارات [الحاضر[10]] بقوله : ﴿ **إِنَّ هذا القرآنَ يَهدي لِلَّتى هِيَ أَقْوَمُ** ﴾ . [وقال] : ﴿ **إِنَّ هذا القرآنَ**

---

(١) في الأصل (حاظر) بالطاء المعجمة ، والصواب ماذكرناه .
(٢) الآية : ٢٨ من سورة الزمر .
(٣) الآية : ٣ من سورة الزخرف .
(٤) الآية : ١٩٥ من سورة الشعراء .
(٥) الآية : ٤٤ من سورة فصلت .
(٦) الآية : ٤٤ من سورة القلم .
(٧) الآية : ٢٣ من سورة الزمر .
(٨) الآية : ٣٤ من سورة الطور .
(٩) الآية : ٨٧ من سورة النساء .
(١٠) في الأصل (الحاظر) بالطاء المعجمة ، والصواب ماذكرناه . والآية : ٩ من سورة الإسراء .

يَقُصُّ ﴾[1] . [وقال] : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هذا القرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[2] . [وقال] ﴿ نَحنُ نَقُصُّ عليكَ أحسنَ القَصَصِ بِمآ أَوْحَيْنَآ إِليكَ هذا القرآنَ ﴾[3] . والحاضر عندنا هو هذا الكتاب العربي .

السادس : أن الله ـ تعالى ـ أخبر بتنزيله ، وشهد بإنزاله على رسوله ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنا عليك القرآنَ تَنزيلاً ﴾[4] . وقال سبحانه : ﴿ وقرآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ علىٰ النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَّنَزَّلْنَاهُ تَنزيلاً ﴾[5] .

وقال سبحانه : ﴿ لكنِ اللهُ يَشهدُ بمآ أَنزلَ إليك أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ والملائكةُ يَشهدُونَ وَكَفَىٰ باللهِ شَهيدًا ﴾[6] . والمنزل على رسول الله ـ ﷺ ـ هو هذا الكتاب دون مافي النفس .

السابع : أن الله ـ تعالى ـ أمر بترتيله ، ونهى عن العجلة وتحريك اللسان به مستعجلا ، فقال سبحانه : ﴿ وَرَتِّلِ القرآنَ تَرتيلاً ﴾[7] . وقال : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بالقرآنِ مِنْ قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾[8] . وقال : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾[9] . ولا يتعلق هذا بما في النفس البتة ، وإنما يتعلق بهذا الكتاب .

---

(١) الآية : ٧٦ من سورة النمل .
(٢) الآية : ٨٩ من سورة الإسراء .
(٣) الآية : ٣ من سورة يوسف .
(٤) الآية : ٢٣ من سورة الإنسان .
(٥) الآية : ١٠٦ من سورة الإسراء .
(٦) الآية : ١٦٦ من سورة النساء .
(٧) الآية : ٤ من سورة المزمل .
(٨) الآية : ١١٤ من سورة طه .
(٩) الآية : ١٦ من سورة القيامة .

الثامن : أن الله ـ تعالى ـ أمر بقراءته ، والاستماع له ، والإنصات إليه ، وأخبر أنه يسمع [ويتلى[1]] ، فقال : ﴿ **حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللهِ** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **فاقرؤا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** ﴾[3] . وقال : ﴿ **وإذا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا** ﴾[4] . وهذا من صفات الوجود عندنا ، لا من صفة ما في النفس الذي لا يظهر [للحس[5]] ولا يدرى ماهو .

التاسع : أن الله ـ تعالى ـ أخبر أن منه سوراً وآيات وكلمات ، فقال تعالى : ﴿ **سورةٌ أَنْزَلْنَاهَا** ﴾[6] وقال : ﴿ **وإذا ما أُنْزِلَتْ سُورةٌ** ﴾[7]

وقال : ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ** ﴾[8] . وقال : ﴿ **تلك آياتُ القرآنِ** ﴾[9] . وقال : ﴿ **مِنْهُ آياتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ** ﴾[10] . وقال : ﴿ **بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الذين أُوتُوا العِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بآياتِنَآ إِلاَّ الظَّالِمُونَ** ﴾[11] . وقال : ﴿ **وإذا تُتْلَىٰ عليهم آياتُنا بيِّناتٍ قَالَ الّذينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنا ائتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذا أَوْ**

---

(١) كتبت (يتلا) هكذا ، والصواب ماأثبت .
(٢) الآية : ٦ من سورة التوبة .
(٣) الآية : ٢٠ من سورة المزمل .
(٤) الآية : ٢٠٤ من سورة الأعراف .
(٥) في الأصل (الحس) بلام واحدة ، والصواب ماذكرناه .
(٦) الآية : ١ من سورة النور .
(٧) الآية : ١٢٤ من سورة التوبة .
(٨) الآية : ٣٨ من سورة يونس .
(٩) الآية : ١ من سورة النمل .
(١٠) الآية : ٧ من سورة آل عمران .
(١١) الآية : ٤٩ من سورة العنكبوت .

بَدِّلْهُ ﴾ [1] . وقال : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ البَحْرُ مِداداً لكلماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدداً ﴾ [2] . وقال : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ [3] . وقال : ﴿ فَاقْرَؤُا مَاتَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [4] وقال : ﴿ فاقرؤا ماتَيَسَّر مِنْهُ ﴾ [5] .

العاشر : أن القرآن كتاب الله العربي الذي أنزله على محمد ـ ﷺ ـ وكتاب الله سور ، وآيات ، وحروف ، وكلمات بغير خلاف .

والدليل : على أن كتاب الله هو القرآن ، قول الله تعالى : ﴿ تلك آياتُ الكتابِ المبينِ إِنَّا أنزلناهُ قرآناً عربياً ﴾ [6] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قالوآ أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلىٰ قَومِهِم مُنْذِرِينَ قالوا ياقومَنآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ [7] فسموا القرآن الكتاب . وقال في موضع آخر : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قرآناً عجباً ﴾ [8] .

وأجمع المسلمون على أن كتاب الله المنزل على محمد ـ ﷺ ـ هو القرآن .

---

(١) الآية : ١٥ من سورة يونس .
(٢) الآية : ١٠٩ من سورة الكهف .
(٣) الآية : ٣٦ من سورة الرعد .
(٤) الآية : ٢٠ من سورة المزمل .
(٥) الآية : ٢٠ من سورة المزمل .
(٦) الآيتان : ١ ـ ٢ من سورة يوسف .
(٧) الآيتان : ٢٩ ـ ٣٠ من سورة الأحقاف .
(٨) الآية : ١ من سورة الجن .

فهذه عشرة أوجه دالة على ماذكرنا ، ولولا كراهة التطويل لزدت عليها ، لكن من لا يكتفي بهذه وينتفع بها ، لم ينتفع بالزيادة عليها .

وأما السنة : فمن وجهين .

أحدهما : قول النبي ـ ﷺ .

والثاني : سكوته .

أما قوله فكثير ، فنقتصر على مايكفي .

منها : ما روى أبو الأحوص[1] عن عبد الله بن[2] مسعود

عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : «هذا القرآن مأدبة الله تعالى ، فتعلموا مأدبته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ونجاة [لمن][3] تبعه ، لا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّم ، ولا يزيغ [فيستعتب][4] ، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ، فاتلوه ، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشرَ حسنات ألا إني لا

---

(١) اسمه : عوف بن مالك بن نضلة الجشمي ، تابعي ثقة . أخرج له البخاري ومسلم والأربعة . قتله الخوارج أيام الحجاج بن يوسف الثقفي . تهذيب التهذيب (١٦٩/٨) .

(٢) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل ، أحد كبار البدريّين ، أسلم قبل عمر بن الخطاب ، كان يتحرى الدقة في الأداء ، ويشدد في الرواية ، ويزجر تلاميذه عن التهاون في ضبط الرواية . كان مشهورا بالقراءة وحسن الصوت . توفى سنة ٣٢هـ وله من العمر ٦٠ سنة . تذكرة الحفاظ للذهبي (١٣/١) .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) ساقطة من الأصل ، وفي رواية الطبراني : «ولا يرفع فيتغيب «بدل :» ولا يزيغ فيستعتب» . ورواية الطبراني ضعيفة لضعف مسلم بن إبراهيم الهجري .

أقول : الم حرف . ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر»[1] . رواه أبو عبيد[2] في فضائل القرآن .

فأشار إلى [حاضر] وأمر بتلاوته ، وأخبر أنه حروف ، وقال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[3]، وقال : «إن الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع

(١) نقله ابن كثير عنه في كتابه «فضائل القرآن» . أما كتاب أبي عبيدة فلم أطلع عليه . وأخرجه الدارمي عن ابن مسعود ، وذكره ابن الأثير في جامعه عن ابن عمر ، وعزاه إلى رزين ، وذكره ابن كثير في «فضائل القرآن» وقال فيه : غريب من هذا الوجه . وضعفه لضعف أبي إسحق الهجري ، وقال : إن له شاهداً من وجه آخر .

انظر : جامع الأصول (٤٦٣/٨) ، وسنن الدارمي (٤٣٥/٢) ، ومجمع الزوائد (١٦٤/٧) ، وفضائل القرآن (ص ١٦) .

ووهم أبو بكر الهيثمي فذكر اسم أبي إسحق الهجري : مسلم بن إبراهيم ، والصواب : أنه إبراهيم بن مسلم .

قلت : يريد بالشاهد حديث الحارث الأعور عن علي بن أبي طالب عند الترمذي «ستكون فتنة . قلت : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : «كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم ... الحديث» . وهو ضعيف لضعف الحارث الأعور . قال فيه الترمذي : «هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفي إسناده مجهول وفي الحارث مقال» ا . هـ . والصحيح أنه موقوف على ابن مسعود .

جامع الترمذي (١٥٢/٥) ، تهذيب التهذيب (١٤٥/٢) .

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام . هو الإمام العالم المحدث الفقيه ، صاحب كتاب «الأموال» . ولد سنة ١٣٠هـ . له مؤلفات كثيرة في القرآن والحديث والفقه . قيل : إنه أول من ألف في «غريب الحديث» . أخرج له أبو داود في سننه . ثقة ثبت ، وصفه الإمام أحمد بالأستاذ . توفي سنة ٢٢٤هـ .

تهذيب التهذيب (٣١٥/٧) ، وتاريخ بغداد (٤٠٣/١٢) ، وسير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠) .

(٣) حديث صحيح . رواه البخاري بسنده عن عثمان بن عفان في كتاب «فضائل القرآن . فتح الباري (٧٤/٩) ورواه أبو داود في سننه عن عثمان ابن عفان ، وعقد له «باب ماجاء في ثواب قراءة القرآن» . مختصر سنن أبي داود (١٣٣/٢) ورواه الترمذي في جامعه عن علي بن أبي طالب في باب «ماجاء في تعليم القرآن» (١٧٣/٥) . ورواه ابن ماجة في سننه بسنده عن عثمان بن عفان في باب «فضائل من تعلم القرآن وعلمه» ، وأورده بأكثر من طريق ، وبلفظ «أفضلكم «بدل» «خيركم» (٩٢/١) .

السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، والذي يقرأ القرآن وهو [1] يشتد عليه فله أجران» .[2] متفق على معناه .

وعن سهل[3] بن سعد قال : «خرج علينا رسول الله ـ ﷺ ـ ونحن نقترى ـ يقرى بعضنا بعضا ـ فقال : «الحمد لله ، كتاب الله واحد فيه[4] الأحمر والأسود ، اقرؤا ، اقرؤا ، قبل أن يجيء أقوام يقيمونه كما يقام القدح لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ، ولا يتأجّلونه»[5] .

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، وجاءت بلفظ وهو يشق أو عليه شاق ، ومعنى يشتد من الشدة فيشق ، واللفظان بمعنى واحد .

(٢) ذكره البخاري في صحيحه في كتاب «التوحيد» ـ باب الماهر في القرآن مع السفرة الكرام وفيه تتمة وهي «وزينوا بالقرآن أصواتكم» . فتح الباري (١٣/٥١٨) ، ورواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب «صلاة المسافرين» ـ باب فضل الماهر في القرآن والذي ينتفع فيه صحيح مسلم (١/٥٤٩) ، ورواه ابن ماجة ـ باب ثواب القرآن ورواه بلفظ «... والذي يقرأه وينتفع فيه وهو عليه شاق فله أجران» . سنن ابن ماجة (٢/١٢٤٢) تحقيق : عبد الباقي .

(٣) سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة الساعدي أبو العباس الخزرجي الأنصاري كان اسمه حزنا فسماه رسول الله سهلا هو وأبوه صحابيان . قال عن نفسه : شهدت المتلاعنين عند رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا ابن خمس سنين ، وكان آخر من مات بالمدينة عام إحدى وتسعين ، فهو آخر من مات بها من الصحابة . سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٤٢٢) ، والإصابة (٢/٨٨) .

(٤) لفظ أبى داود [وفيكم] و [اقرأه] بصيغة الإفراد .

(٥) لم أجده كاملا بهذا اللفظ ونصه عند أبي داود : «الحمد لله ، كتاب الله واحد وفيكم الأحمر ، وفيكم الأسود . اقرأه قبل أن يقرأه أقوام يتبعونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله «آ . هـ . عون المعبود (٣/٥٩) .

والبغوي في شرح السنة عن جابر بن عبد الله (٣/٨٨) ، والإمام أحمد في المسند بطريقين : عن أنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله (٣/١٤٦ ، ٣٩٧) .

والحديث حسن . وعبد الله بن لهيعة يكتب حديثه للمتابعة ؛ لاسيما بعد احتراق كتبه وقبل ذلك إذا صرح بالسماع عمن روى عنه ، ولم يصرح في هذا الحديث بسماعه عن بكر بن سوادة ، وله شاهد من حديث جابر في مسند أحمد (٢/٣٩٧) .

وفي لفظ : «يقيمون حروفه إقامة السهم» . فقال النبي ـ ﷺ ـ : «إنه طرأ عليّ حزب من القرآن ، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه»[1] . قال أوس [2] الثقفي : فسألت أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ فكيف يحزبون القرآن ؟ قالوا : ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل مابين قاف إلى أسفل .

وقال لأُبي[3] يا أبا المنذر : أي آية في القرآن أعظم ؟

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه «عون المعبود» (٢/٢٦٩) ، وابن ماجة في سننه (١/٤٢٧) تحقيق : عبد الباقي ، والإمام أحمد في مسنده (٤/٩ ، ٣٤٣) ، والحديث ضعيف لضعف عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلي .

انظر : الجرح والتعديل (٥/٩٦) . وميزان الاعتدال (٢/٤٥٢) .

(٢) أوس بن أوس الثقفي : اختلف في اسمه . قال ابن حبان : هو أوس بن أوس ، وقيل : هو أوس بن أبي أوس حذيفة والد عمر . ولعل الأول أصح . صحب النبي ـ ﷺ ـ وروى عنه ، وروى عن علي بن أبي طالب . وروى عنه : ابنه عمرو وابن ابنه عثمان بن عبد الله . أخرج له أصحاب السنن .

انظر : الإصابة (١/٧٩) ، وتهذيب التهذيب (١/٣٨١) .

(٣) أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي من بني النجار ، وكنيته أبو المنذر ، شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ كان عمر بن الخطاب يكرمه ويجله ويستفتيه كثيرا . ولما مات قال عمر : اليوم مات سيد المسلمين . توفي بالمدينة سنة تسع عشرة ـ رضي الله عنه ـ . انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي (١/١٦) ، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١/١٩) .

فقال : (الله لا اله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، فضرب صدره ، فقال : ليهنك العلم أبا المنذر) [1] .

وقال : (إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي : تبارك الذي بيده الملك)[2] .

وقال : (قل هو الله أحد ، ثلث القرآن) [3]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (١/٥٥٥) حديث (٨٠٩) .

(٢) حديث حسن . أخرجه أبو داود والترمذي والدارمي والإمام أحمد في مسنده ، ورجاله ثقات . وأخرجه الحاكم في مستدركه ، ووافقه الذهبي في تلخيصه . في سنده عباس الجشمي . قال فيه ابن حجر : «مقبول من الثالثة» .

انظر : الترمذي (٥ /١٦٤) ، وعون المعبود (٤ /٢٧٧) ، والدارمي (٢ /٤٥٦) ، والمسند (٤/٢١٢) ، والمستدرك (١/٥٦٥) ، (٢/٤٩٧) .

فائـــدة :

فيه دليل قوي أن البسملة في القرآن ليست من السورة ؛ لأن سورة الملك ثلاثون آية بدون البسملة . وقال عبد الله بن عمر : نظرت أنا ومسروق فلم نجد في القرآن سورة ثلاثين آية إلا تبارك .

قلت : سورة الفجر والَم السجدة ثلاثون آية أيضا .

(٣) متفق عليه . رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، ورواه مسلم عن أبي الدرداء لفظ مسلم . «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن ؟ قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن .

انظر : صحيح البخاري (٦/١٧٩) ، ومسلم (١/٥٥٦) .

وقال : (قل ياأيها الكافرون تعدل ربع القرآن و إذا زلزلت تعدل نصف القرآن)[1]

وقال رسول الله ـ ﷺ ـ «أعربوا القرآن» .[2]

وقال : «لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن تناله أيديهم»[3] .

وقال : «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات ، ومن

---

(١) أخرجه الترمذي بطريقين : عن أنس بن مالك وعن ابن عباس . قال في الأول : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ : الحسن بن سلم . وقال في الثاني : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث اليمان بن المغيرة . وأخرجه الحاكم فى المستدرك عن ابن عباس .

انظر : جامع الترمذي (٥/١٦٥) ، والمستدرك (١/٥٦٦) .

قلت : الحسن بن سلم هو ابن صالح العجلي شيخ مجهول يروي عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات ، حققه ابن حبان .

انظر : المغني للذهبي (١/١٦٠) ، وتهذيب التهذيب (٢/٢٨٠) ، وتهذيب الكمال (٦/١٦٦) .

واليمان بن المغيرة ضعيف . قال فيه ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال أبو حاتم : منكر الحديث ، يروي المناكير التي لا أصل لها فاستحق الترك . انظر : تهذيب التهذيب (١١/٤٠٦)

فالحديث ضعيف لضعف اليمان بن المغيرة ؛ وجهالة الحسن بن سلم .

(٢) متفق عليه . انظر : صحيح مسلم (٧/١٤٩٠) ، وانظر : البخاري (٤/١٥) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه بطرق عن ابن مسعود كلها ضعيفة ، وكذلك أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى الطبراني وفي سنده ضعف .

انظر : المصنف (١٠/٤٥٦) ، ومجمع الزوائد (٧/١٦٣) ، وفيض القدير (١/٥٥٨) .

والصواب : وقفه على ابن مسعود كما سيأتي .

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن أبى هريرة مرفوعا، وعن ابن مسعود موقوفا بلفظ : «أعربوا=

قرأه فلحن فيه فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح .

وقال : اقرؤا القرآن فإنكم تؤجرون بكل حرف منه عشر حسنات ألا إني لا أقول : الٓمٓ حرف ، ولكن ألف عشر ، واللام عشر ، والميم عشر»[1] .

وقال : «من قرأ حرفا من القرآن كتب الله ـ تبارك وتعالى ـ له به عشر حسنات . الياء ، والتاء ، والواو»[2] .

= القرآن والتمسوا غرائبه» . وفيه عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري .ورواه الطبراني ـ أيضا ـ من طرق ، فيها ليث بن أبي سليم . أما عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبري فضعيف في الحديث ، كان يقلب الأخبار ويهم في الآثار . قال فيه يحيى بن معين : ليس بشيء . وكذلك ليث بن أبي سليم ضعيف لا يحتج به اختلط بآخره . انظر : التاريخ الكبير (١٠٥/٥) ، (٤٢٩/٢) ، والمجروحين (٩/٢ ، ٢٣١) : والضعفاء للعقيلي (٢٥٨/٢) .

وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ، وعزاه للطبراني ، وفيه نهشل بن سعيد . قال فيه ابن معين والدارقطني: ضعيف .

وقال النسائي : متروك الحديث ، وضعفه البخاري . فالحديث بهذا الإسناد ضعيف . انظر : مجمع الزوائد (١٦٣/٧) ، والضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص ٣٨٢) . وأخرجه الدارمي في سننه ، وابن أبي شيبة بعدة طرق كلها ضعيفة عن عبد الله بن مسعود موقوفا ومرفوعا بألفاظ مختلفة . غير أن ليس فيها (أعربوا) . وأخرجه الترمذي في جامعه عن ابن مسعود بلفظ : «من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة «الحسنة بعشر أمثالها» . وقال : حديث حسن صحيح .

انظر : المصنف (٤٦١/١٠) ، وجامع الترمذي (١٧٥/٥) ، وسنن الدارمي (٤٢٩/٢) .

(١) هكذا في الأصل (ألف) دون تعريف ، وجاءت الأحرف الثلاثة معرفة ، كما في مجمع الزوائد (١٦٣/٧) ، وجاءت منكرة كما في مصنف ابن أبي شيبة (٤٦٢/١٠) وذكره الذهبي في التلخيص وصححه (٥٥٥/١) انظر : جامع الترمذي (١٧٥/٥) .

(٢) سبق تخريجه .

وروى أنس[1] بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ فقال : «من قرأ حرفا من كتاب الله ـ عز وجل ـ زوجه الله ـ تبارك وتعالى ـ زوجتين من الحور العين»[2] .

فهذه الأخبار وما شابهها تدل على أن النبي ـ ﷺ ـ ماأراد بالقرآن سوى هذا الكتاب المنزل عليه ، الذي يعرفه المسلمون قرآنا ، ولم يرد به ماتقول هذه الطائفة[3] إنه معنى في نفس الباري . لا يظهر للحس ، ولا ينزل ، ولا له آخِر ، ولا أول ، ولا يدري ماهو ولا هو سور ، ولا آيات ، ولا حروف ، ولا كلمات ، ولولا التطويل لذكرت هذه الأحاديث بأسانيدها ، وبينت في كل خبر وجه الاحتجاج منه ؟ لكن تركت ذلك لظهوره تخفيفا .

وأما الحجة في سكوت[4] النبي ـ ﷺ ـ فمن وجهين :

أحدهما : أنه لو كان القرآن ما قالوا ؛ لوجب على النبي ـ ﷺ ـ

---

(١) أنس بن مالك بن النضر ، الصحابي الجليل ، ولد قبل الهجرة بعشر سنين أحد المكثرين في الرواية عن الرسول ـ ﷺ ـ بلغت مروياته (٢٢٨٦) حديثا ، وهو أشهر من أن يعرف به . توفي سنة (٩٣هـ) وعمره (١٠٣) سنة .

انظر : سير أعلام النبلاء (٤٠٦/٣) ، وأُسد الغابة (١٥١/١) ، وتهذيب التهذيب (٤٥٥/٧) .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ فيما اطلعت عليه . أما معناه فصحيح ، وقد مر في ألفاظ كثيرة .

(٣) يقصد الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري الذين يثبتون لله ـ سبحانه ـ سبع صفات فقط ، وهي : الحياة والكلام والسمع والبصر والإرادة والعلم والقدرة ، وينفون ما عداها ، وردوا على المعتزلة بقولهم بخلق القرآن ، ولكنهم قالوا : إن كلام الله إشارة إلى : معنى ما في نفس الباري ، وإن مابين أيدينا ليس هو كلام الله وإنما هو معناه .

وبقولهم هذا : وافقوا المعتزلة حيث أرادوا مخالفتهم ، وأكثر المسلمين اليوم يعتقد معتقد الأشاعرة ، ويلقبون أنفسهم بأهل السنة . وعلى كل حال : فهم أقرب الطوائف إلى مذهب أهل السنة والجماعة الذين أخبرنا رسول الله ـ ﷺ ـ أنهم على الحق .

(٤) وهو الوجه الثاني من السنة كما ذكر المصنف .

بيانه وتعريفه ، فإنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه ـ **بالاتفاق** ـ وما أشد حاجة [الأمة][1] إلى معرفة القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ، قال «أهل التفسير» في قول الله ـ عز وجل ـ : ﴿**لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ**﴾[2] أي : شرفكم[3] .

وقال بعضهم في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّنَا سَمِعنَا مُنادِيًا يُنادِي لِلإِيمانِ** ﴾ [4] . هو : القرآن[5] . فإن كل الأمة لم تسمع من النبي ـ ﷺ ـ ، فكيف لا [يحتاج][6] المسلمون إلى معرفة القرآن الذي شرفهم الله به ، وجعله بشيرا ، ونذيرا ، ومناديا لهم ، وداعيا إلى الهدى ، وحجة ، ونورا ، وبرهانا وشفاء ، ورحمة ، ومعجزا لنبيهم ـ عليه السلام ـ ، (ومعرّفاً)[7] للأحكام : من الحلال والحرام ، والصلاة والزكاة ، والحج ، والصيام ، وسائر الأحكام ، والذي جعل الله الأجر في تلاوته واستماعه ، وكتابته ، وحفظه ، وأمرنا بتعظيمه ، وتوقيره ، ورفعه ، ونهانا عن مَسِّهِ مُحدِثين ، وعن السفر به إلى بلاد أرض العدو ،وعن قراءته في حال الجنابة ، وجعله شرطا للصلاة ، وأمر النبي ـ ﷺ ـ بتبليغه ، والإنذار به ، فهذا مما لا يجوز للنبي ـ ﷺ ـ أن يهمل بيانه ، ولا يكتمه عن أمته ؛ سيما وقد أمره الله بالتبليغ ، وفرضه عليه ، وتوعده على تركه ،

---

(١) في الأصل (الأئمة) والصواب ما ذكرناه .

(٢) الآية : ١٠ من سورة الأنبياء .

(٣) انظر على سبيل المثال : تفسير الطبرى (٦/١٧) ، وابن كثير (١٧٤/٣) ، والقرطبي (٢٧٣/١١) ، والدر المنثور (٣١٤/٤) .

(٤) الآية : ١٩٣ من سورة آل عمران .

(٥) انظر على سبيل المثال : تفسير الطبري (٣١٢/٤) ، والكشاف (٤٧٥/١) ، وتفسير الماوردي (٣٥٦/١) ، وزاد المسير (٥٢٨/١) .

(٦) في الأصل (تحتاج) بالتاء ، والصواب بالياء .

(٧) في الأصل (ومعرف) والصواب بالنصب .

فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرسولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾(١) وقال : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ. ﴾ (٢) وقال مخبرا عن النبي ـ ﷺ ـ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا القرآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾(٣) .

أى : ومن بلغه القرآن ، ومع شفقة النبي ـ ﷺ ـ على أمته ، وحرصه عليهم ، وعزة عَنَتِهم عليه ، فهل يجوز أن يتوهم المتوهم : أن النبي ـ ﷺ ـ كتم عن أمته بيان القرآن ، وعصىٰ أمر ربه ، ولم يبلغ رسالته ، وغش أمته ، وتركهم يعتقدون الباطل ، ويضلون عن الحق ، ويضيعون عن الصواب ، مع علمه بضلالهم ، وإمكانه من هدايتهم بكلمة واحدة ، فلا يقول في ذلك : حرفا ، ولا شيئا مما لا يسوغ لمسلم أن يعتقده ، والنبيّ ـ ﷺ ـ يقول لهم في خطبته في حجة الوداع : «ألا هل بلغت ؟ ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . فرفع أصبعه إلى السماء وقال : اللهم فاشهد»(٤)؟.

ويقتضي قول هذه الطائفة(٥) : أن النبي ـ ﷺ ـ ما بلغ ، وأنه [كاذب](٦) في دعواه التبليغ ، وأصحابه كاذبون في شهادتهم له ، وأن كل مسلم شهد للنبي ـ ﷺ ـ بتبليغ الرسالة ، والنصح لأمته ، فهو كاذب في شهادته .

---

(١) الآية : ٦٧ من سورة المائدة .

(٢) الآية : ٩٤ من سورة الحجر .

(٣) الآية : ١٩ من سورة الأنعام .

(٤) متفق عليه . انظر : صحيح البخاري (٣/١٩١) ، وصحيح مسلم (٢/٨٨٦) .

(٥) هي : الكلابية والأشاعرة ومن تبعهم من متصوفة أو متفقهة ، القائلون : بأن القرآن عبارة عما في النفس ، أو حكاية ، فإن عبر عنه بالعربية كان اسمه قرآنا وإن كان بالعبرانية كان توراة ، وإن كان بالسريانية كان إنجيلاً .

(٦) بياض في الأصل ، وما أثبتناه يتضح به المعنى .

فليت شعري أيزعمون أن النبي ـ ﷺ ـ ترك بيان هذا الأمر قصدا لإ ضلال أمته وإغوائهم ، أو غفلة منه ، وأن [أستاذهم قصد[1]] لما غفل عنه النبي ـ ﷺ ـ وخلفاؤه ، والسادة من صحابته وتابعيهم ، والأئمة من بعدهم ، فبين الصواب ، وأتم تبليغ الرسالة ، [وقصد[2]] لما لا يعلمه الله ـ تعالى ـ وخفي عن رسوله ، وأمته . إن من رضي لنفسه [ ][3] هذا ، لأهمل أن لا يكلم أصلا[4] .

الوجه الثاني ، من الثاني[5] : لو قدرنا أنه ساغ للنبي ـ ﷺ ـ السكوت عن بيان القرآن ، فكيف ساغ له إيهام أمته ؟ أن القرآن غير ما هو قرآن ، بما تلاه من الآيات [التي][6]ذكرناها ، والأخبار التي رويناها ليضل أمته بذلك عن الصواب ، ويعتقدوا غير الحق ، ويصيروا حشوية[7] مجسّمين ـ كما يعتقد فينا خصومنا ـ ولو كان ذاك ، لكان النبي ـ ﷺ ـ هو المضل لأمته ، والمغوي لهم ، والداعي لهم إلى صراط الجحيم ، والمانع لهم من الصراط المستقيم .

---

(١) الجملة غير واضحة في الأصل لوجود بياض ، وما أثبتناه ينتظم به السياق .

(٢) غير واضحة في الأصل ، ولعل ماأثبتناه يظهر به المعنى .

(٣) في الأصل جملة (يؤدي إلى) ، ولا معنى لها في السياق ، حيث يتم المعنى بدونها .

(٤) أي أنه غير عاقل ، فلا تجوز مجادلته . ولا مخاطبته .

(٥) أما القول الأول من هذا الوجه ، فيبدأ من قول المؤلف : «ويقتضي قول هذه الطائفة : أن النبي ـ ﷺ ـ مابلغ ، وأنه كاذب في دعواه التبليغ فيما مضى قبل عدة أسطر .

(٦) في الأصل (الذي) بدل (التي) .

(٧) الحشوية : وصف أطلقه نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة على مثبتيها ، سواء كانوا مشبهة أو مجسمة ، ويطلقه أولئك على أهل السنة والجماعة سبا لهم وزراية بهم ، وأول ماأطلقت هذه التسمية في عهد الحسن البصري ، وكان له حلقة بالمسجد حضرها ذات يوم بعض العامة فتكلموا بالسقط عنده : فقال : ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها ، فسموا الحشوية ./ انظر : درء تعارض العقل والنقل (١٤٨/٤) ومقدمة تبيين كذب المفتري (ص ١١) .

واعتقاد هذا **كفر بالله العظيم ، وخروج عن دائرة المسلمين .**

فهذه دلالة قاطعة في أن القرآن هو ما يعتقده المسلمون قرآنا لاغير .

وأما الإجماع : فإن أصحاب النبي ـ ﷺ ـ ماكانوا يعتقدون أن القرآن سوى هذا الذي نعتقده قرآنا .

دلت على ذلك : أقوالهم ، وأحوالهم ، فإنهم : سموا حروفه وآياته وكلماته وأحزابه ، وذكروا قرآنه ، واستماعه على نحو ماذكرنا عن النبي ـ ﷺ ـ .

فقال أبو بكر[1] وعمر[2] ـ رضي الله عنهما ـ : «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه»[3].

---

(١) هو : أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة بن عامر ، خليفة رسول الله ـ ﷺ ـ وأفضل الأمة ، وأحد المبشرين بالجنة ، هو أشهر من أن يعرف . توفي سنة (١٣هـ) وله (٦٣) سنة . وسيرته ومناقبه في أغلب كتب التاريخ ، أفرد له المحب الطبري مجلدا خاصا من أربعة مجلدات في ترجمته للعشرة المبشرين بالجنة في كتابه المسمى (الرياض النضرة) .

انظر : تذكرة الحفاظ (١ /٤) ، وشذرات الذهب (٢٤/١) .

(٢) هو : عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح . لقبه رسول الله ـ ﷺ ـ بالفاروق ، وتولى الخلافة بعد أبي بكر الصديق ، ولقب بأمير المؤمنين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة . قتله أبو لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة سنة ٢٣هـ ، وعمره (٦٣) سنة .

انظر : تذكرة الحفاظ (٨/١) ، وشذرات الذهب (٣٣/١) .

(٣) لم أجده بهذه اللفظ وإنما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمر أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري فقال : «أما بعد : فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي فَتَمَعْدَدُوا فإنكم مَعَدِّيُون» . ا . هـ . أي تشبهوا بجدكم مَعَدّ بن عدنان انظر : المصنف (٤٥٦/١٠) .

وسئل عليٌّ[1] عن الجنب ، هل يقرأ القرآن ؟ قال : «ولا حرفا» .[2] وروي عنه أنه قال : «من كفر بحرف من القرآن ، فقد كفر به كله»[3] .

وقال عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ . «تعلموا البقرة ، فإن بكل حرف منه حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها» . ولا أقول : الَمَ حسنة ، ولكن ألف حسنة ، ولام حسنة ، وميم حسنة»[4] .

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : «ما من مؤمن يقرأ حرفا من القرآن ، ولو شئت لقلت اسما تاما ، ولكن حرفا ، إلا كتب الله ـ تعالى ـ له بكل حرف عشر حسنات ، أما إن الحرف ليس بالآية ، والكلمة ، ولكن الَمَ ثلاثون حسنة» . وفي رواية قال : «أما إني لست ممن يزعم أن بكل آية عشر حسنات ، ولكن أزعم أن بكل حرف من حروف

---

(١) هو : أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن هاشم بن عبد مناف ، الخليفة الراشد ابن عم رسول الله ﷺ ـ وزوج ابنته فاطمة ، وأحد المبشرين بالجنة ، تولى الخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان واستشهد في السابع عشر من رمضان سنة (٤٠) هـ ـ وعمره ستون سنة .

انظر : تذكرة الحفاظ (١/١٠) ، وشذرات الذهب (١/٤٩) .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/١٠٢) .

(٣) لم أجده عن علي ـ رضي الله عنه ـ وذكره الطبري في مقدمة تفسيره ، وابن أبي شيبة في مصنفه عن إبراهيم النخعي . وأخرجه ابن ماجة عن ابن عباس مرفوعا بلفظ : «من جحد آية من القرآن حل ضرب عنقه» . وهو ضعيف لضعف حفص بن عمرو العربي . ضعفه ابن معين وأبو حاتم والنسائي وابن عدي والدار قطني .

انظر : الطبرى (١/٥٤) ، والمصنف (١٠/٥١٣) ، وسنن ابن ماجه (٢/١١١) .

(٤) أخرجه الدارمي في سننه من قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : «تعلموا القرآن ...» بدل البقرة . وأخرجه ابن أبي شيبة موقوفا عن ابن مسعود ورواه مرفوعا إلى النبي ـ ﷺ ـ عن عوف بن مالك الأشجعي ... والموقوف له حكم الرفع . وهو صحيح .

انظر : سنن الدارمي (٢/٤٢٩) ، والمصنف (١٠/٤٦١) .

المعجم عشر حسنات»[1] .

وروي عنه أنه قال : «إن هذا القرآن مأدبة الله ، فتعلموا من مأدبته مااستطعتم ، اتلوه فإن الله يأجركم بكل حرف منه عشر حسنات ، لم أقل لك : الَمَ حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف»[2] .

وقال ابن مسعود : «أنتم اليوم في زمن كثير فقهاؤه ، وقليل قراؤه ، وتحفظون حدود القرآن ، وتضيعون حروفه ، وسيأتي زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه ، يحفظون حروفه ويضيعون حدوده» .[3] ذكره مالك[4] بن أنس في الموطأ .

وقال ابن مسعود : «من حلف بالقرآن فعليه بكل آية كفارة»[5] . وروي عنه : بكل حرف .

---

(١) أخرجه أبو يوسف في كتابه الآثار برقم (٢٢٢) وجاء عن ابن مسعود بعدة طرق سبق تخريجها ، ومنها الأثر التالي ، وكل هذه الآثار موقوفة عليه ولها حكم الرفع ، حيث إنه ليس للعقل فيها مجال . والله أعلم .

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ، وابن كثير في فضائل القرآن ، روياه مرفوعا إلى النبي ـ ﷺ ـ والصحيح وقفه . وقد سبق تخريجه .

انظر : مصنف عبد الرزاق (٣/٣٧٥) ، وسنن الدارمي (٣/٤٣٥) ، وفضائل القرآن (ص١٦) .

(٣) بحثت في الموطأ فلم أجده . وقد رواه الدارمي بلفظ آخر ، نصه : «عن شفيق قال عبد الله : كيف أنتم إذا لبستم فتنة يهرم فيها الكبير ، ويربو فيها الصغير ، ويتخذها الناس سنة ، فإذا غُيِّرت قالوا : غيرت السنة ، قالوا : ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤاكم وقلّت أمناؤكم والتمست الدنيا بعمل الآخرة «ا . هـ
انظر : سنن الدارمي (١/٦٤) .

(٤) هو : مالك بن أنس الأصبحي ، إمام دار الهجرة ، إليه ينتسب المالكية ، محدث فقيه حافظ حجة . ألف كتابه الموطأ بإشارة من الخليفة أبي جعفر المنصور . ولد سنة (٩٣هـ) ، وتوفى سنة (١٧٩هـ) .
انظر : تذكرة الحفاظ (١٠/٢٠٧) ، وشذرات الذهب (١/٢٨٩) ، ووفيات الأعيان (٤/١٣٥) .

(٥) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه . والطبري في مقدمة تفسيره .
انظر : المصنف (٨/٤٧٢) ، وانظر : الطبري (١/٥٤) .

وقال عبد الله[1] بن عمر : «إذا خرج أحدكم لحاجته ، ثم رجع إلى أهله ، فليأت المصحف ، فيفتحه ويقرأ سورة ، أو قال : سورا ، فإن الله يكتب له بكل حرف عشر حسنات ، أما إني لا أقول : الٓمٓ حرف ، ولكن ألف عشر ، ولام عشر ، وميم عشر[2] .

وروى عوف بن مالك[3] ، وأنس عن رسول الله ـ ﷺ ـ : «من قرأ حرفا من كتاب الله كتب الله له به حسنة»[4] .

وقال فضالة بن عبيد[5] : «خذ على هذا المصحف ، ولا ترد على ألف ، ولا واو إلا آية كاملة[6] .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : «تعلموا إعراب القرآن ،

---

(١) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب . أول مشاهده الخندق . أحد أوعية العلم وحفظته ، عابد زاهد ، له مواقف مع الحجاج بن يوسف لا يخشى في الله لومة لائم . توفى سنة (٧٤هـ) وعمره (٦٣) سنة . انظر : تذكرة الحفاظ (٣٧/٧) ، والإصابة (٣٤٧/٣) .

(٢) سبق تخريجه قريبا عن عبد الله بن مسعود دون لفظ «إذا خرج أحدكم لحاجته ثم رجع إلى أهله فليأت المصحف يفتحه» .

(٣) هو : عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي ، شهد فتح مكة ، وآخى الرسول ـ ﷺ ـ بينه وبين أبي الدرداء . وشهد وقعة «مؤتة» . توفي سنة (٧٣هـ) في خلافة عبد الملك ابن مروان .
انظر : سير أعلام النبلاء (٤٨٧/٢) ، والإصابة (٤٣/٣) .

(٤) سبق تخريجه قريبا . عن ابن مسعود .

(٥) هو : فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس الأنصاري ، بايع تحت الشجرة ، وأول مشاهده غزوة «أحد» ، وشهد فتح مصر ، وولاه عمر قضاء دمشق ، توفي سنة (٥٣هـ) . انظر : الإصابة (٢٠٦/٣) ، وتهذيب التهذيب (٢٦٧/٨) .

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه . ومعنى (ترد) تصل . أي : اقرأ ولن تصل في قراءتك إلى ألف ولا واو إلا كتب لك أجر آية كاملة ، ومعناه دلت عليه نصوص أخرى سبق بيانها .

كما تتعلمون حفظه»[1] . وقال : «جرِّدوا القرآن» .[2]

وقال زيد بن[3] ثابت : «أرسل إليَّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة ، وإذا عنده عمر ، فقال لي : إنك رجل شاب عاقل ، ولا نتّهمك ، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ ﷺ ـ فتتبع القرآن فاجمعه» . قال : «فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ، ما كان أثقل علي من ذلك ، فقلت : كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ فقال أبو بكر : هو والله خير . قال : فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع ، والعُسُب[4] ، واللِّخاف[5] ، وصدور الرجال»[6] .

---

(١) رواه ابن أبي شيبة عن عمر بلفظ «تفقهوا في السنة ، وتفقهوا في العربية ، وأعربوا القرآن فإنه عربي وتمعددوا فإنكم مَعَدِّيُّون «ورواه عن أُبي بن كعب بلفظ : «تعلموا العربية كما تعلمون حفظ القرآن» .

انظر : المصنف (٤٥٦/١٠) .

وروي عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ : «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه» . ولم يصح وسبق تخريجه.

(٢) جرد المصحف : إذا عرّاه وخلّصه من الزيادة ، كالتفسير والفواتيح . وقد روي هذا الأثر عن عبد الله بن مسعود بلفظ : «جردوا القرآن ليربو فيه صغيركم ولا ينأى عنه كبيركم ، ولا تلبسوا به شيئا ليس فيه» . قال ابن عيينة : معناه لا تقرنوا به شيئا من الأحاديث التي يرويها أهل الكتاب ليكون وحده مفردا . وهذا لم أعثر عليه عن عمر ، وقد رواه ابن أبي شيبة بعدة طرق عن ابن مسعود . انظر : مصنف بن أبي شيبة (٥٥٠/١٠) ، ومصنف عبد الرزاق (٣٢٢/٤) .

(٣) هو : أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري ، شهد جميع الغزوات مع رسول الله ـ ﷺ ـ وأحد كتاب الوحي . اختاره أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان لجمع المصحف وتدوينه . قال عنه أبو هريرة لما مات : «مات حبر هذه الأمة ، وعسى الله أن يجعل في ابن عباس خلفا» . وقال فيه حسان بن ثابت : فمن للقوافي بعد حسان وابنه ، ومن للمعاني بعد زيد بن ثابت . توفي ـ رضى الله عنه ـ سنة (٤٥هـ) وعمره (٥٦) سنة .

انظر : سير أعلام النبلاء (٤٢٦/٢) ، والإصابة (٥٦١/١) .

(٤) العسب : جمع عسيب وهو جريد النخل إذا جرد من خوصه .

(٥) اللخاف : جمع «لخفة» وهي الحجارة البيضاء العريضة الرقيقة . انظر : لسان العرب ـ مادة «لخف» .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه . انظر : (٩٨/٦) .

فهذا وأشباهه مما لا سبيل إلى إحصائه دليل على أن القوم ما اعتقدوا قرآنا ، سوى هذا الذي هو حروف منظومة ، وآيات معلومة ، وكذلك مَن بعدَهم من أهل الإسلام ، وكلامهم في هذا كثير ، وما علمت أحدا من أهل الإسلام جحد كون هذا قرآنا : سوى هذه الطائفة ، ثم أجمعوا مع المسلمين : على أنهم متى تلوا آية ، قالوا : قد قال الله كذا ، وقول الله : هو كلامه .

وأجمع[1] المسلمون : على أن القرآن يقرأ ، ويسمع ، ويكتب ، ويحفظ ، وهذه الصفات [لانؤلها][2] بما لم ينزل إلينا ما لا يدري ماهو ، وأجمعوا على أن القرآن : أنزل على محمد ـ ﷺ ـ ، وأنه معجز للنبي ـ ﷺ ـ الذي يتحدى الله الخلق بالإتيان بمثله ، وعجزوا عنه .

وأجمعوا : على أن في القرآن ناسخا ، ومنسوخا ، ولا يتعلق ذلك إلا بهذا النظم .

وأجمعوا : على أن القرآن الذي يشترط قراءته في الصلاة ، ويمنع الجنب من قراءته ، والمحدِث من مسه ، ويمنع من السفر به إلى أرض العدو ، [هو هذا][3] دون غيره .

وأجمعوا : على أن الوقوف الموقوفة على قراء القرآن أو على كَتَبَته ، أو على حافظيه يصرف إلى من قرأ هذا ، وكتبه وحفظه .

وأجمعوا : على أن تفسير هذا الكتاب يسمى : تفسير القرآن ، وأن قارئه يسمى : قارىء القرآن ، وأن

---

(١) أي من جاءوا بعد القرون الثلاثة كما أجمع عليه أولئك من قبلهم .

(٢) في الأصل «لا تعلو لها» ولا معنى لها ، ولعل الصواب ماذكرناه .

(٣) في الأصل «هذا» ولعل الصواب ماذكرناه ليتم المعنى ، وتكون الجملة خبرا لـ «أن» .

سوره تسمى : سور القرآن ، وآياته تسمى : آيات القرآن ، وحروفه تسمى : حروف القرآن ، ولو قال إنسان : سورة البقرة ما هي من القرآن ، لكان عند المسلمين جاحدا لبعض القرآن .

وما اختلف الصحابة في شيء من سور القرآن ـ فيما علمت ـ إلا في المعوذتين[1] ، فإن بعضهم لم يكتبها في مصحف[2] وأجمعوا على ما عداهما .

وأجمعوا : على أن من جحد سورة من القرآن ، أو آية ، أو كلمة ، أو حرفا متفقا عليه أنه كافر .

قال أبو نصر [السجزي][3] : هذا حجة قاطعة أنه حروف .

وأجمعوا : ـ فيما علمت ـ على أن حالفا لو حلف ليقرأن القرآن ، أو ليكتبن القرآن ، أو ليحفظنه أو ليسمعنه [لحنث بترك][4]

---

(١) انظر : ابن حجر في الفتح (٧٤١/٨) واثبات قرآنيتهما متفق عليه .
وانظر : صحيح البخاري (٩٦/٦) ، وفي صحيح مسلم (٥٥٨/١) : أن النبي ـ ﷺ ـ قرأ المعوذتين في الصلاة وأمر بقراءتها ، وهذا نص بقرآنيتها وما روي عن عبد الله بن مسعود من عدم إثباتها في مصحفه ، فلم يثبت . قاله ابن حزم في المحلى ، والنووي في شرح المهذب . قلت : وعلى فرض صحته فيحمل على أنه أنكر أن يكتب في المصحف شيئا لم يأمر به النبي ـ ﷺ ـ على حد علمه ؛ حيث لم يبلغه أمر النبي ـ ﷺ ـ بذلك . كما أن المثبِت مقدم على النافي ؛ لاسيما وإجماع الأمة قاطبة على أن القرآن هو كتاب الله المنزل على محمد المتعبد بتلاوته ، المبدوء بالحمد والمختوم بالجنة والناس . وأن الكفر ببعضه أو جحده هو جحد له وكفر به كله .

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب (مصحفه) .

(٣) في الأصل (البحري) والصواب ماذكر . وهو : عبد الله بن حاتم السجزي الوابلي ـ نسبة إلى مدينة «وابل» من بلاد ماوراء النهر . محدث حافظ . له : كتاب «الإبانة في مسألة القرآن» . توفي سنة (٤٤٤) من الهجرة . انظر : تذكرة الحفاظ (١١١٨/٣) ، وشذرات الذهب (٢٧١/٣) .

(٤) هذه الجملة ساقطة في الأصل ولا يستقيم المعنى بدونها .

كل قراءة هذا ، وكتابته ، وحفظه ، وسماعه ، ولو حلف أنه : لا يقرأ القرآن ، أو لا يكتبه ، أو لا يحفظه ، أو لا يسمعه ، لحنث بقراءة هذا ، وكتابته ، وحفظه ، وسماعه ، ولو حلف أن لا يتكلم فقرأ القرآن في الصلاة لم يحنث ، ولما اختلف أهل الحق والمعتزلة في القرآن ، هل هو مخلوق أو لا ؟ ، ما اختلفوا إلا في هذا الكتاب .

[فصـــل]

واتفق الجميع على أنه قرآن ، واختلفوا في قِدَمِه وخَلْقِه ، ومن صورة الاختلاف(١) الاتفاق على محله ، فحصل الإجماع من أمة محمد ـ ﷺ ـ على أن هذا الكتاب : هو القرآن المنزل ، وثبت بالأدلة القاطعة [....](٢) أن هذا قرآن ، فلا يلتفت إلى من خالف ذلك ، وإذا ثبت أنه قرآن ، فهو سور وآيات ، وكلمات ، وحروف بغير إشكال ، وإنكار ذلك جحد للعيان ، ونوع من السفسطة والهذيان ، ومن العجب أن الله ـ تعالى ـ سمى هذا الكتاب : قرآنا ، وسماه النبي ـ ﷺ ـ قرآنا وسمته أمته : قرآنا ، وسمته الجن : قرآنا (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا)(٣) . وسمته المعتزلة : قرآنا ، فجاءت هذه الطائفة(٤) بمخالفة رب العالمين ، وخلقه أجمعين .

---

(١) أي : ويفهم من اختلافهم في وصفه هل هو قديم أو حادث ؟ اتفاقهم على أصله أنه قرآن .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) الآية : ١ من سورة الجن .

(٤) يعني : الكلابية أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب . والأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري . القائلين إن كلام الله هو عبارة عن ما في النفس أو حكاية له ، وليس ما يتكلم به إذ مافي النفس قديم ، وما يتكلم به حادث ، وكل حادث مخلوق ، فلزم منه أن الله لم يتكلم بالقرآن ، وليس هو كلامه ؛ بل هو عبارة عما في نفسه ؛ وهذا قول بين بطلانه ، وسبق الرد عليه .

وقالت : ماهذا بقرآن قصدا للرد على المعتزلة قولهم : القرآن مخلوق ، فجاءت بطامة ، إذ من لوازمها : كون القرآن مخلوقا ، فإن المعتزلة لم يعنوا بالقرآن المخلوق سوى هذا الكتاب ، وهذه الطائفة تقول : هو ، وليس بقرآن ، فليتها صرحت بقول المعتزلة ، ووقفت عليه ، ولم تفرد هذه الزيادة التي لم يقلها قبلها أحد ، ثم إنهم مع جحدهم كون هذا [قرآنا](١) لا يتجاسرون على إظهار مقالتهم بسلاطين المسلمين ، ولا لعامتهم ، وإنما يظهرون لهم إنكار الحروف ، لكون لفظها لم يرد في نص الكتاب ، وهذا إنما يلبس [على](٢) عامي غُمْر ما له من فطنة ، فيعلم يقينا أن السورة آيات ، والآيات كلمات ، والكلمات حروف ، ولا شك في ذلك ، ثم قد صرح النبي ـ ﷺ ـ ، وأصحابه والتابعون ، ومن بعدهم بالحروف ، وعد الناس حروف القرآن في الأمصار ، ولم ينكر هذا منكر قبل هذه الطائفة ، وما أنكرت هذه الطائفة الحروف على الخصوص ، إنما أنكرت هذه الطائفة(٣) القرآن كله وجحدته ، ثم إن الله ـ تعالى ـ قد أزاح العلة [بتلك](٤) الحروف المقطعة في أوائل السور ، فافتتح تسعا وعشرين(٥) سورة بالحروف المقطعة قطعا للعذر ، ونفيا للإشكال ، حتى إني سمعت بعض أهل العلم يقول : إن من جحد سورة البقرة من القرآن فهو كافر بالإجماع ، ومن أقر أنها من القرآن فقد أقر بالحروف ، يعني :

---

(١) في الأصل : قرآن بالرفع والصواب النصب .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) الكلابية ومن تبعهم من الأشاعرة .

(٤) في الأصل (بذلك) .

(٥) هي : البقرة ، وآل عمران ، والأعراف ، ويونس ، وهود ، ويوسف ، والرعد ، وإبراهيم ، والحجر ، ومريم ، وطه ، والشعراء ، والنمل ، والقصص ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، والسجدة ، ويس ، و (ص) ، وغافر ، وفصلت ، والشورى ، والزخرف ، والدخان ، والجاثية ، والأحقاف ، و (ق) ، و (ن) .

أن في أولها : الَمَ ، وهي حروف ، وزعم بعض متحذلقي هذه الطائفة أن : الَمَ ، ليست حروفا ، وإنما هي أسماء للحروف ، فخالفوا النبي ـ ﷺ ـ وأصحابه ، والأمة ، فإنهم يسمون هذه حروفا ، ثم لا ينفعه[1] هذا ، فإن أسماء الحروف : حروف ، فالألف ثلاثة أحرف ، واللام ثلاثة أحرف والميم ثلاثة أحرف ، إنما هي تسعة ، [2] فتحذلق[3] فزَلق كما قيل :

هكذا كل أخي حذلقةٍ ما مشىٰ في مس[4] إلا زلق

ثم أي شيء يفيده ستر[5] واحد إلى كون : الَمَ حروفا مع تسليمه ، مابعدها إلى آخر السورة حروف ، فإن ذلك ثلاثة أحرف ، والكتاب خمسة أحرف ، وكذلك مابعدها ، فلو صح ما قالوا لم يفده قليلا ولا كثيرا على أن القوم ما نزاعهم في أن هذا القرآن حروف ، وهذا شيء لا يمكن جحده ، إنما جحدوه بالكلية ، فقالوا ما هذا قرآنا أصلا . فإن سلم المتحذلق أن هذا قرآن ، ولكن قال : لا أسميه حروفا كان [موافقا][6] في المعنى ، مخالفا في التسمية ، فلا فائدة في النزاع فيه .

وقال[7] بعضهم . هذا الكتاب قرآن لكنه مخلوق ، والقرآن القديم في نفس الباري ، فوافق المعتزلة في أن القرآن مخلوق . وادعى دعوى فرق

---

(١) كذا بإفراد الضمير وهو جائز ، مراعاة للفظ (بعض) في قوله : وزعم بعض متحذلقي هذه الطائفة ، ولو جمع الضمير لكان حسنا .

(٢) يقال : تحذلق الرجل إذا ادعى أكثر مما عنده .

(٣) في الأصل (فتحلق) ولا معنى لها .

(٤) يطلق المس على طلب الشيء وإن لم يكن موجودا .

انظر : تاج العروس ـ مادة أمس ـ .

ومعنى البيت : أن كل من ادعى ماليس عنده سقط وافتضح .

(٥) أي : ماذا يستفيد من نفى أحد حروف (الم) الثلاثة مع تسليمه أنها وما بعدها حروف .

(٦) في الأصل : (موقوفا) والصواب ماذكرناه .

(٧) أي : بعض الأشاعرة .

بها الإجماع ، وخالف بها المسلمين ، فإننا لم نسمع أن [أحدا][1] من الأمة قال هذه المقالة قبل هذا [القائل][2] وليس له عليها دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قول صحابي ، ولا إمام مرضي ، والعقل لايقتضي وجود قرآن ، ولا تسمية ، إنما يعلم ذلك بالنقل الصحيح القاطع . وليس مع هذا المدعي سوى مجرد الدعوى لا يثبت بها شيء ، ثم إنه لو قدر أنه ذكر دليلا [لكان[3]] مخالفا للإجماع ، فإن الأمة مجمعة على أنه ليس لنا إلا قرآن واحد . فمنهم من قال : هو كلام الله القديم ، ومنهم من قال : هو مخلوق . فما خالف الإجماع فهو باطل . ثم كيف يتصور لهذا الأحمق أن النبي ـ ﷺ ـ [غفل[4]] عن ذكر هذا لأمته مع حاجتهم إلى بيانه ، وعصى ربه في ترك تبليغ رسالته وغش أمته بكتمان ذلك عنهم ، وغفل عنه خلفاؤه ومن بعدهم حتى جاء فتنة[5] لهذا واستدرك على النبي ـ ﷺ ـ غفلته وكشف عز الأمة فيهم وهداهم عن الضلالة التي [أضلهم][6] رسولهم أن هذا المصحف عظيم .

وعلى كل حال فقد سلم أن القرآن الذي بينته أنه قرآن بالكتاب والسنة والإجماع [و][7] هو سور وآيات وكلمات وحروف : وهذا هو الذي ادعيناه ، وقد ثبت لنا ذلك ، فلا يضرنا دعواه غير ذلك ، فليدَّعِ ماشاء .

---

(١) في الأصل (أحد) بالرفع والصواب النصب .

(٢) في الأصل (المقايل) ، ولعل الصواب ما أثبت آعلاه .

(٣) في الأصل (لكن) والصواب ماأثبتناه .

(٤) ساقطة في الأصل ، ولا يستقيم السياق إلا بها ، وقد دل عليها مابعدها .

(٥) يجوز تأنيث الفعل وتذكيره ، تقول قامت الرجال ، وقام الرجال ، وجاءت الفتنة ، وجاء الفتنة ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿ **من بعد ماجاءهم البينات** ﴾ .

(٦) في الأصل (أظلهم) بالطاء المعجمة ، والصواب (أضلهم) بالضاد المعجمة .

(٧) ساقطة من الأصل .

[فصـــل]

فإن قال القائل : لا يصح قولكم : إن القرآن حروف لوجوه :

أحدها : أن الحروف لاتخرج إلا من مخارج وأدوات ، ولا يجوز إضافة ذلك إلى الله ـ تعالى ـ لأنه تجسيم ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك .

والثاني : أن الحروف تتعدد ، والقديم لا يتعدد .

والثالث : أنها تتعاقب [فتسبق(١)] الباء السين ، والسين الميم ، وكل مسبوق مخلوق .

الرابع : أن كلام الله شيء واحد ، ليس له أول ولا آخر ، ولا بعض ، والحروف مختلفة متغايرة ، لها أجزاء وأبعاض .

فالجواب من وجوه(٢) :

---

(١) في الأصل (فسبق) بدون تاء ، والأولى إثباتها ، والمعنى أن الباء تسبق حرف السين في (بسم الله الرحمن الرحيم) .

وهذا مذهب «السالمية» ومن وافقهم القائلين : إن صفة الكلام صفة ذاتية ، ولا تتعلق بالقدرة والمشيئة ، وحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضا ؛ بل هي مقترنة ، فالباء مقترنة مع السين مع الميم في آن واحد لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ، ولم تزل قائمة بذات الله كالحياة والسمع والبصر ، ومع هذا يقولون : إن القرآن هو حروف وأحداث وسور وآيات ، سمعه جبريل منه ، وسمعه موسى وسمعه محمد ـ ﷺ ـ منه . وهذا المذهب ينادي على نفسه بالرد والبطلان ، إذ كيف يوصف كلام الرب بأنه أجزاء وأبعاض وسور وآيات ، يسمع في أزمان متعددة بواسطة وبغير واسطة ، ومع هذا كله يصير صفة ذاتية ، ثم هذه الحروف الثلاثة المتعاقبة مثلا هل دلالتها مجتمعة في البسملة هي دلالتها في كلمة (فتبسم) من قوله : «فتبسم ضاحكا من قولها» . سبحانك هذا بهتان عظيم .

(٢) الصحيح أنهما وجهان : أحدهما : إجمالي ، والثاني : تفصيلي يبدأ من قول المصنف الثالث .

أحدها : أنه ثبت أن القرآن هو هذا الكتاب الذي هو حروف . أدلة[1] قاطعة يقينية ، فكل [ما خالف][2] يعلم كونه باطلا ، فإن ما خالف اليقين فبطلانه يقين ، وما بعد الحق إلا الضلال .

الثاني : أن هذا الذي ذكروه من فن الكلام ، وهو مجمع على ذَمّه وإنكاره ، وأنه ليس بحجة ولا دليل . والدليل على الإجماع قول العلماء : قال ابن عبد[3] البر : أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء .

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إسحاق بن [خويز منداد[4]] البصري المالكي : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل البدع والأهواء : أشعريا كان أو غير [أشعري[5]] ، ولا تقبل لهم شهادة في الإسلام ، وَيُهجرون وَيُؤَدَّبُون على [بدعتهم[6]] .

---

(١) كذا في الأصل ، ولو قيل (بأدلة) لكان أظهر .

(٢) في الأصل (وكلما خلف) ولعل الصواب ما أثبت بقرينة مابعده .

(٣) هو : يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي المالكي ، أحد العلماء المشاهير ، ألف عدة كتب مفيدة كالتمهيد والاستذكار والاستيعاب ، وجامع بيان العلم وفضله . توفي سنة (٤٦٣هـ) وعمره (٩٥) سنة . انظر : شذرات الذهب (٣/٣١٤) ، ووفيات الأعيان (٢/٣٤٨) .

(٤) في الأصل (خوزبنذاذ) والصواب ماأثبت . وهو : أحد علماء المالكية ، عاش في القرن الرابع الهجري . ألف كتاب أحكام القرآن ، وكتابا في أصول الفقه ، كان متبعا للسنة ملتزما بالأثر يجانب أهل الكلام عامة وينافرهم ، ويرى أنهم أصحاب أهواء ، ولم أعرف سنة ولادته ولا وفاته . انظر : الديباج المذهب لابن فرحون (٢/٢٢٨) .

(٥) في الأصل (شعري) بدون همزة ، والصواب ماأثبت .

(٦) في الأصل (بدعته) بالإفراد والصواب الجمع . (ويهجرون ويؤدبون) .

وقال الشافعي[1] ـ رحمة الله عليه ـ : لئن يبتلي المرء بكل مانهى الله عنه ، ما عدا[2] الشرك ، خير من أن ينظر في الكلام .

وقال : لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفروا منه كما يُفَرُّ من الأسد .

وقال : من أبدر[3] في الكلام لم يفلح .

وقال : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل [وينادى عليهم][4] هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام .

وقال [أحد علماء[5] شاش] :

كلُّ العلومِ سوىٰ القرآنِ مشغلةٌ إلّا الحديث وإلا الفقه في الدِّينِ[6]
العلمُ ما كان فيه قال : حدثنا وما سوىٰ ذاك وسواسُ الشياطينِ

---

(١) هو : الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي ، تنسب إليه الشافعية . ولد في غزة من فلسطين ١٥٠ للهجرة . حجة في اللغة . له كتب كثيرة في فنون شتى، في أصول الفقه (الرسالة) ، وفي الفقه (الأم) ، وفي علوم القرآن (أحكام القرآن) ، وله مسند في الحديث . أُلّف في مناقبه كتب خاصة ، وهو أشهر من أن يعرف ، توفي سنة (٢٠٤) للهجرة وله (٥٤) سنة .

انظر : سير أعلام النبلاء (٥/١٠) وتاريخ بغداد (٥٦/٢) ، وطبقات الشافعية (١٨٥/١) ، وشذرات الذهب (٩/٢) ، وطبقات الحنابلة (٢٨٠/١) .

(٢) في الأصل (ماعاد) والصواب ما أثبت .

(٣) أي : بادر إليه وقدمه على غيره من العلوم لأنه أهم عنده من غيره .

(٤) سقطت من الأصل . انظر : كتاب شرف أصحاب الحديث (ص ٧٩) .

(٥) مدينة من وراء نهر سيحون من بلاد الترك .

انظر : معجم ما استعجم للبكري (٧٧٥/٣) ، وشرف أصحاب الحديث للبغدادي (ص ٥٥) .

(٦) وعند الخطيب البغدادي :

كل الكلام سوى القرآن زندقة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
والعلم متّبعٌ ماكان (حدثنا) وماسوى ذاك وسواس الشياطين

وقال الإمام أحمد[1] بن حنبل ـ رحمة الله عليه ـ : لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل[2] .

وقال أبو[3] يوسف ـ رحمة الله عليه ـ : من طلب العلم بالكلام تزندق .

---

(١) هو : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي ، إمام أهل السنة وإليه تنتسب الحنابلة . ولد سنة (١٦٤)هـ ، كان عالما زاهدا تقيا وقافا عند حدود الله . امتحن في فتنة القول بخلق القرآن . قال فيه شيخ البخاري علي بن المديني : «لقد أعز الله الإسلام برجلين : أبي بكر يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة» .
له عدة مصنفات كالمسند ، احتوى على (٣٠) ألف حديث ، وفضائل الصحابة ، والرد على الزنادقة فيما ادعته من تشابه القرآن . وألف في مناقبه كتب خاصة . توفي سنة (٢٤١هـ) وعمره ٧٧ سنة .
انظر : سير أعلام النبلاء (١١/١٨٧) ، وتاريخ بغداد (٤/٤١٣) ، وشذرات الذهب (٢/٩٦ ، وطبقات الشافعية (١/١٩٩) ، وصفة الصفوة (٢/٣٣٦) .

(٢) الدغل : الإدخال لقصد الإفساد ، ومنه قول الحسن البصري : «اتخذوا كتاب الله دغلا» . أي : أدغلوا في التفسير . ويطلق ـ أيضا ـ على الشك وعلى الخيانة . انظر : لسان العرب/ دغل .

(٣) اسمه : يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي ، صاحب أبي حنيفة . ولد سنة (١١٣هـ) . اهتم في أول عهده بالحديث والأثر ، ولما لزم أبا حنيفة غلب الرأي . عالم ورع ، وفقيه مجتهد . روى عنه : الإمام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين . توفي سنة (١٨٢هـ) وعمره (٦٩) سنة .
انظر : تاريخ بغداد (١٤/٢٤٢) ، وشذرات الذهب (١/٢٩٨) .

وقال محمد بن شجاع[1] الثلجي : سمعت الحسن[2] بن زياد اللؤلؤي وقال له رجل في زفر بن الهذيل[3] : كان ينظر في الكلام ، فقال : سبحان الله ، ما أحمقك ، ما أدركت مشيختنا : زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة[4] ومن جالسنا ، فأخذنا عنهم غير الفقه والاقتداء بمن [يقدمهم][5] .

وقال جعفر الخواص : سمعت الجنيد[6] بن محمد يقول : من كان سبيله [ومذهبه[7]] الكلام لا يفلح .

---

(١) هو : محمد بن شجاع الثلجي فقيه حنفي ، ولد ببغداد سنة (١٨٠هـ) وكان ممن قال بخلق القرآن ، ووضع أحاديث في الصفات كحديث : «إن الله خلق الغرس فأجراها فعرقت ثم خلق نفسه منها» . وكان يرد الحديث نصرة لمذهب أبي حنيفة» . وتاب من بدعته قبل موته بأسابيع ، وتوفي سنة (٢٦٦هـ) .

انظر : ميزان الاعتدال (٥٧٧/٣) ، وتاريخ بغداد (٣٥٠/٥) .

(٢) فقيه حنفي ، كذبه ابن معين وأبو داود وأبو حاتم ، وهو ليس بشيء ، ولا يكتب حديثه/

انظر : ميزان الاعتدال (٤٩١/١) ، ولسان الميزان (٢٠٨/٢) .

(٣) هو : أبو الهذيل زفر بن الهذيل بن قيس العنبري الحنفي . ولد سنة (١١٠هـ) . إمام ثقة ، وفقيه مجتهد من كبار أصحاب أبي حنيفة ، غلب عليه الرأي بعد صحبته له ، وكان من قبل يرغب في الحديث والأثر . توفي سنة (١٥٨هـ) وعمره ٤٨ سنة .

(٤) هو : الإمام الحجة أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي ، مولى بني تيم الله بن ثعلبة . ولد سنة (٨٠) للهجرة . إليه ينتسب جميع الحنفية كان لا يقبل جوائز السلطان ، ويأكل من عمل يده . قال فيه الإمام الشافعي : «الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة . له : كتاب «الفقه الأكبر» .

انظر : شذرات الذهب (٢٢٧/١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٩٠/٦) ، وتاريخ بغداد (٣٢٣/١٣) .

(٥) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب (تقدمهم) بالتاء بدل الياء .

(٦) هو : أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد الخزاز الصوفي العابد . إليه ينتهي أكثر أهل التصوف ، وهو منه براء . صحب الحارث المحاسبي ، والسر السقطي توفي سنة (٣٩٨هـ) .

انظر : صفوة الصفوة (٤١٦/٢) ، وتاريخ بغداد (٢٤١/٧) ، وطبقات الحنابلة (١٢٧/١) .

(٧) كذا في الأصل ، ولعل الصواب (منهجه) بدل مذهبه .

ولو تقصينا ذمَّ العلماءِ الكلامَ لطال ، لكن ذكرنا الأئمة الأربعة ، [فإن][1] أكثر أهل الإسلام ـ فيما علمنا ـ منتسبون إليهم ، وراجعون إلى مذهبهم ، وهذا حال الكلام عندهم ، فكيف [يحتج[2]] به أو يرجع إليه ؟ سيما وقد عارض الكتاب والسنة والإجماع ، وإن من يترك هذه الأصول الثلاثة لأجل شيء من الكلام الذي هذا حاله [لَعَصِيٌّ[3]] الرأي مسلوب التوفيق .

الثالث : أن نفرد كل وجه بجواب :

أما قولهم : إن الحروف إنما تكون [من مخارج][4] ، قلنا : من أين علمتم هذا ؟ فإن قالوا : لأنها في حقنا كذلك ، فكذلك في حق الله ـ تعالى ـ قياسا له علينا .

قلنا : هذا خطأ واضح ، فإن الله ـ تعالى ـ لا يقاس على خلقه ، ولا يشبه بهم ، ولا تشبه صفته بصفاتهم ، فمن فعل ذلك كان مشبِّهًا ضالًّا .

الثاني : أن هذا باطل ، فإن الله تعالى [قال] : ﴿**وَتُكَلِّمُنَآ أَيدِيهِم وَتَشْهَدُ أَرجُلُهم**﴾[5] . وقال : ﴿**شَهِدَ عَلَيهِم سَمعُهم وأبصارُهم وجلودُهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودِهم لِمَ شهدتُم علينا قالوا أنطقَنَا**

---

(١) كذا في الأصل ، ولو قيل (لأن) لكان له وجه . وممن صنف في ذم الكلام الإمام الهروي صاحب «منازل السائرين» ، وكتابه لم يطبع وهو موجود في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) في الأصل (يجتمع) ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) في الأصل غير واضحة ، ولعل الصواب ماأثبت .

(٤) في الأصل (ممن خارج) والصواب ماأثبتناه . ومن قوله (من أين علمتم هذا ؟) : رد على الوجه الأول من الوجوه الأربعة .

(٥) آية : ٦٥ من سورة يس .

﴿اللهُ الذي أنطقَ كُلَّ شيءٍ﴾[1] . وأخبر أن السماوات والأرض ﴿قالتا أَتَيْنَا طائعين﴾[2] . وأخبر النبي ـ ﷺ ـ «أن حجرا كان يسلم عليه»[3] . «وأن الذراع المسمومة كلمته»[4] وأخبر أن آخر الزمان يكلم الرجل علاقة سوطه .[5] وقال ابن مسعود : «كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل»[6] .

---

(١) آية : ٢٠ من سورة فصلت .

(٢) آية : ١١ فصلت .

(٣) الحديث صحيح . أخرجه مسلم بلفظ : «إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن". صحيح مسلم (١٧٨٢/٤) .

أما تسبيح الحصى بين يديه : فقد أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، والسيوطي في الخصائص (٧٤/٢) ولم يصح لضعف محمد بن يونس الكديمي وهو متروك ؛ بل اتهم بالوضع .

انظر : ميزان الاعتدال (٧٤/٤) ، والمجروحين (٣١٢/٢) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بطريقين عن أبي هريرة وأنس بن مالك انظر : المسند (٢١٨/٣) ، (٤٥١/٢) .

قال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني في تخريجه : لم أقف عليه لغير الإمام أحمد . انظر : الفتح الرباني (١٢٤/٢١) .

كما قال ابن كثير في تاريخه : تفرد به الإمام أحمد وإسناده حسن . انظر : البداية والنهاية (٢٣٣/٤) .

قلت : عجبا للشيخ الساعاتي ، لم يشر كعادته أنه في الصحيحين ، أو في أحدهما ، أو في أحد السنن ، والحديث متفق عليه . فقد رواه البخاري عن أبي هريرة ، ومسلم عن أنس . وأخرجه أبو داود في سننه بعدة طرق ، وكذلك الإمام الدارمي في مسنده . وعجبت ـ أيضا ـ أن صاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لم يذكر من خرجه سوى الإمام أحمد والدارمي .

انظر : صحيح البخاري (١٤١/٣) وصحيح مسلم (١٧٢١/٤) ، ومختصر سنن أبي داود (٣٠٧/٦) والدارمي (٣٢/١) .

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة . وأخرجه الحاكم في المستدرك على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي في تلخيصه .

انظر : المسند (٣٠٦/٢) ، (٨٩/٣) ، والمستدرك (٤٦٧/٤) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه في باب علامات النبوة (١٧١/٤) .

ولا خلاف أن الله ـ تعالى ـ قادر على إنطاق الحجر الأصم بغير مخارج ولا أدوات .

الثالث : أن يلزمهم أن يقولوا في سائر صفات الله ـ تعالى ـ حدقة ، والسمع لا يكون إلا من انخراق ، فإن طردوا ذلك في الصفحات كلها حدقة ، والسمع لا يكون إلا من انخراق ، فإن طردوا ذلك في الصفات كلها صاروا مجسمين كافرين ، وإن نفوا هذه الصفات صاروا معطلين ، وإن أثبتوها من غير أدوات لزمهم إثبات هذه الصفة ـ أيضا ـ ، وإلا فما الفرق ؟! . [وأما][1] التعاقب فإنما يلزم في حق من يتكلم بالمخارج والأدوات ، وقد أبطلنا هذا .

وأما قولهم : إنها[2] متعددة ، فإن أسماء الله متعددة ، فإن لله ـ تعالى ـ تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة . قال الله تعالى : ﴿ **ولله الأسماءُ الحُسنىٰ فادعُوهُ بها** ﴾ [3] .

وهي قديمة : نص الشافعي ـ رحمة الله عليه ـ على أن أسماء الله ـ تعالى ـ غير مخلوقة .

وقال أحمد : من قال أسماء الله مخلوقة فهو كافر .

وصفات الله متعددة وهي قديمة ، وكتب الله متعددة : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، وهي غير مخلوقة .

فإن قالوا : هي مخلوقة ؛ فقد قالوا بخلق القرآن . وقد [أجمعنا[4]] على أنه غير مخلوق .

---

(١) في الأصل (وإنما) والصواب : ماأثبت ، وهذا هو الرد على الوجه الثالث من الوجوه الأربعة .

(٢) هو الوجه الثاني من الوجوه الأربعة .

(٣) الآية : ١٨٠ من سورة الأعراف .

(٤) في الأصل (جمعنا) بغير همزة . والصواب : ماأثبت . المراد : إجماع المسلمين .

وإن قالوا : إن هذه أسماء لشيء واحد ، وإنما هذه عبارة عن معبر واحد ولم ينزل منها شيء ، ولا نزل الله على بشر من شيء ، فهذا تكذيب[1] لله ولرسوله ، وخرق لإجماع المسلمين وموافقة لليهود الذين رد الله عليهم بقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذي جاءَ بِهِ مُوسىٰ﴾[2] .

وإن قالوا : بل قد أنزلت وهي متحدة ، لزم أن يكون كل واحد من هذه الكتب قد أنزلت على كل واحد من هؤلاء الأنبياء الأربعة ، ويكون نبينا ـ عليه السلام ـ قد أنزلت التوراة والإنجيل والزبور [عليه][3] وهذا قول من [لا حياء[4]] ، له ، ثم هو دعوى مجردة تخالف إجماع الأمة .

وقولهم : إن كلام الله ـ تعالى ـ واحد ، لا أول له ولا آخِر[5] ، ولا بعض ، فهو باطل بما ذكرنا ههنا وفيما سبق . ثم إنهم قد سلموا أن موسى ـ عليه السلام ـ سمع كلام الله وكلمه ربه ، فيؤدي إلى أن يكون موسى قد شارك الله تعالى في علمه ، وعلم ما في نفسه . وهذا يرده قول الله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِداداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾[6] .

وإن كان قد سمع البعض ، فلقد سلموا التبعيض ، وقد سلموا أن القرآن كلام ، وأنه غير مخلوق ، وأنه مسموع مقروء محفوظ ، فيلزم من قولهم : أن من سمع آية فقد سمع كلام الله وحفظ القرآن ، ومن حفظ شيئا منه فقد [علمه][7].

---

(١) بداية الرد على الوجه الرابع من الوجوه التي أوردها الأشاعرة ومن تبعهم وأطال المؤلف النَفَس في هذا الرد ؛ لأنه صلب موضوع هذا الكتاب المحقق .

(٢) الآية : ٩١ من سورة الأنعام .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) في الأصل (الأحياء) والصواب : ماأثبت .

(٥) في الأصل (الأول له والآخر) ، والصواب : ماأثبت .

(٦) الآية : ١٠٩ من سورة الكهف .

(٧) في الأصل بياض ، ولعل الصواب ماذكرناه .

وينبغي أن لا يتعب [أحد][1] في حفظ القرآن .

وهذه فضيحة لم يسبقوا إليها ، وقد [أجمعوا[2]] على أن القرآن لم ينزل على النبي ـ ﷺ ـ جملة واحدة ، وإنما أنزل نجوما [في نحو][3] ثلاث وعشرين سنة . وقد دل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الذين كفروا لَوْلاَ نُزِّلَ عليهِ القرآنُ جملةً وَّاحدةً كذلك لِنُثَبِّتَ بهِ فؤادَك وَرَتَّلْنَاهُ ترتيلاً وَّلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفسيرًا** ﴾[4] . فهؤلاء إن وافقوا المسلمين في هذا فقد بطل قولهم .

وإن قالوا : أنزل جملة ، خالفوا رب العالمين وخلقه أجمعين ، ثم متى نزل عليه كله ، في أول رسالته أم في آخرها أم في أي وقت ؟ ثم إن هذا شيء لا يعلم بالعقل ، وإنما يعلم بالنقل ، فعمن أخذوه ؟ ومن نقله لهم ؟ وأين روي هذا ومن رواه ؟

وإن قالوا : ما أنزل من القرآن شيء أصلا ولا يتصور نزوله وكل ماجاء من الآيات والأخبار في هذا مجاز لا حقيقة له ، وهذا الكتاب الذي أنزل على النبي ـ ﷺ ـ ليس بقرآن ، وإنما هو عبارة القرآن ، وإنما سمي قرآنا مجازا .

قلنا : قد سبقت الدلالة على بطلان هذا بأدلة كثيرة قاطعة يقينية ، فلا يلتفت إلى ما خالفها .

ثم نقول : حمل الكلام على المجاز تأويل ، وكل متأول محتاج إلى شيئين : ـ

---

(١) في الأصل (أحدا) بالنصب ، والصواب الرفع .

(٢) في الأصل (جمعوا) بدون همز .

(٣) في الأصل (نحو في) والصواب : ماأثبت .

(٤) الآية : ٣٣ من سورة الفرقان .

أحدهما : بيان احتمال اللفظ لما حمله عليه .

والثاني : بيان دليل يصرف إليه .

فيحتاج ههنا إلى بيان وجود قرآن حقيقيَ سوى هذا الكتاب المنزل على محمد ـ ﷺ ـ ومانعلم لهم في هذا دليلا من كتاب ولا سنة ولا إجماع ، ولا عرف المسلمون قرآنا سوى هذا ، فإثبات قرآن لا دليل عليه ولا سبيل إليه ، ثم لابد في المجاز من سبب [تجوز][1] تسمية المجاز باسم الحقيقة . أما اشتراكهما في المعنى المشهور في محل الحقيقة ، وإما تجاورهما ، وإما غير ذلك .

فإن قالوا : إنما سمي قرآنا لتضمنه للمعنى القديم ، فالمعنى هو القرآن وعبارته تسمى باسمه .

قلنا : هذا لا يصح لوجوه .

أحدهـا : المطالبة بدليل يدل على أن المعنى يسمى قرآنا بمفرده ، فإنه لايجوز التسمية إلا بنقل عن الشارع لكون التسمية شرعية لا تعلم إلا من جهته .

الثاني : أنه لو سمي قرآنا لِتَضَمُّنِهِ معناه ، لسمي كل ما [تضمن][2] ذلك المعنى قرآنا ، فعلى هذا لو قرأه بالعجمية[3] أو عبر عنه بأي لسان كان قرآنا ، ويجب أن يكون تفسير القرآن قرآنا لتضمنه المعنى .

الثالث : أن القرآن[4] للنبي ـ ﷺ ـ الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، والإعجاز يتعلق باللفظ والنظم .

---

(١) كذا في الأصل ، ولعل الصواب (يجوز) بالياء وتشديد الواو .

(٢) في الأصل (تظمن) بالظاء المعجمة ، والصواب بالضاد المعجمة .

(٣) هكذا في الأصل بدون همز ، ولو كتبت ـ (الأعجمية) لكان حسنا .

(٤) هذا الأسلوب فيه ركاكة ، ولعله لو قيل : إن القرآن المنزل على النبي ـ ﷺ ـ الذي عجز الخلق عن الإتيان بمثله هو معجزة محمد ، والإعجاز يتعلق باللفظ والمعنى .

الرابع : أنهم إن زعموا أن كلام الله شيء واحد لا [يتعدد][1] ولا يتجزأ ولا يتبعض ، والمعنى متعدد مختلف ، فإن معنى كل كلمة غير معنى الأخرى ، ومعنى كل جملة غير معنى الأخرى .

مثال ذلك في قوله تعالى : ﴿ **وَأوحينآ إِلىٰٓ أُمِّ موسىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإذا خِفْتِ عليهِ فألقيهِ في اليَمِّ وَلَا تَخَافي ولا تَحزني** ﴾[2] . فإن معنى (أوحينا) الإلهام و (إلى) حرف معناه انتهاء الغاية ، و (أم موسى) والدته ، و (موسى) [نبي][3] الله . وهذه [معان[4]] مختلفة .

وهذه الآية [تشتمل[5]] على ثلاثة : إخبار وشرط وأمرين ونهيين .

فمعنى الاخبار غير معنى الأمر والنهي ، ومعنى كل خبر غير معنى [الآخر][6] ، ومعنى كل أمر غير معنى الآخر . فإن (أرضعيه) غير معنى (ألقيه في اليم) ، ومعنى (إنا رادوه اليك) غير معنى (وجاعلوه من المرسلين) .

واذا ثبت التغاير والتعدد فكيف جعلوه كلام الله ـ تعالى ـ مع ذلك ؟

الخامس : أن معنى القرآن إن كان معنى التوراة والإنجيل ، فالكل شيء واحد ، والقرآن إذاً هو التوراة والإنجيل ، وتكون التوراة منزلة على

---

(١) في الأصل (يتعد) .
(٢) الآية : ٧ من سورة القصص .
(٣) في الأصل (النبي) .
(٤) في الأصل (صعنان) .
(٥) في الأصل (يشتمل) بالياء ، والصواب ما أثبت .
(٦) في الأصل (الأخرى) والصواب ماأثبت .

محمد ـ ﷺ ـ والقرآن على موسى ، ومن قرأ القرآن فقد قرأ التوراة والإنجيل .

السادس : أن معنى القرآن إن كان على كلام الله تعالى بحيث لم [يبق] [(١)] له كلام سواه ، فهذا خلاف قوله : ﴿ **قُل لَّوْ كانَ البَحْرُ مِدادًا لِّكَلِمَاتِ ربي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قبلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** ﴾ [(٢)] .

وأن من حفظ القرآن فقد علم كل كلام الله ـ تعالى ـ وشاركه في علمه وكلامه ، وإن قال : إنه كلام الله ، فقد ناقض قولهم .

السابع : أن كلام الله مسموع ، مَتْلُوٌّ مكتوب ، فقد سمع موسى كلام الله ـ تعالى ـ والمعنى يفهم ولا يسمع ، وإنما يتعلق السماع باللفظ ، فكما لا يوصف المعنى بالرؤية[(٣)] ، كذلك لا يوصف بالسماع .

الثامن : [[(٤)] أن إضافة المعنى إلى كلام الله دون اللفظ إن كان بمعنى كلام الله ـ تعالى ـ علمه به] . فهذا يشتمل على معنى كل شيء ، فإن الله ـ تعالى ـ بكل شيء عليم .

فعلى هذا : يكون الشعر . [والكلام[(٥)]] قرآناً متناسقاً [(٦)] معناه معلوماً

---

(١) في الأصل (يبقى) بالألف المقصورة ، والصواب حذفها للجزم وفي السياق ركاكة والمعنى أنه «إن حمل معنى القرآن على تكلم الله به بمعنى حصوله منه في الماضي بحيث ...

(٢) الآية : ١٠٩ من سورة الكهف .

(٣) يعني : الرؤية البصرية لا العلمية .

(٤) جاء في الأصل : (أن صفات المعنى إلى أنه كلام الله دون اللفظ إن كان بمعنى أن كلام الله ـ تعالى ـ عالم به ...) والمعنى بها غير ظاهر ، ولعل ما أثبت هو الصواب .

(٥) في الأصل (كلام) .

(٦) أي يكون الشعر والكلام قرآنا ، يتلىٰ بالمعنى .

لله ـ تعالى ـ ، فإن كان ذلك [لعدم حضوره][1] في الفكر وبحديث النفس به ، فهذا ما لا يجوز إضافته إلى الله ـ تعالى ـ ، ولا يوصف بغير ماوصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله . ثم من أين علموا ذاك ؟! .

التاسع : أن الله ـ تعالى ـ أخبر أنه ﴿**قرآنٌ مُجيدٌ في لوحٍ محفوظ**﴾[2] . و ﴿**إنَّهُ لقرآنٌ كَرِيمٌ في كتابٍ مَكْنُونٍ**﴾[3] . ونهى النبي ـ ﷺ ـ عن [السفر][4] بالقرآن إلى أرض العدو ، والمكتوب في المصاحف والألواح إنما هو اللفظ .

العاشر : أن القرآن كلام الله ـ تعالى ـ باتفاقنا[5] . والكلام إنما هو اللفظ المشتمل على الحروف ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **آيتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثلاثَ ليالٍ سَوِيًّا فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا** ﴾[6] . وأراد اللفظ دون المعنى ؛ لأن الوحي إليهم [تضمن][7] المعنى ، ولزم منه حضور المعنى في قلبه ، وقد نفى كونه كلاما .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي نَذَرْتُ للرَّحمٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا .... إلى قوله : فأشارتْ إِلَيْهِ** ﴾[8] والحجة مثل الحجة من الآية الأولى .

وقال الله تعالى : ﴿**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ [في المَهْدِ] وَكَهْلًا**﴾[9] .

---

(١) في الأصل (لا حضاره) والمعنى لعدم وروده في الذهن .

(٢) الآية : ٢٢ من سورة البروج .

(٣) الآية : ٧٨ من سورة الواقعة .

(٤) في الأصل (الصافرة) . الحديث متفق عليه .

(٥) أي باتفاق أهل العلم المعتبرين .

(٦) الآيتان : ١٠ ـ ١١ من سورة مريم .

(٧) في الأصل (تظمن) بالظاء المعجمة .

(٨) الآيات : ٢٦ ـ ٢٨ من سورة مريم .

(٩) الآية : ٤٦ من سورة آل عمران .

وقال : ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1] [في اللفظ] والمعنى في القلب لا يحصل به تكلم .

وقال : ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[2] .

وقال : ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم ﴾[3]

ومن السنة : قول النبي ـ ﷺ ـ : «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى وصاحب جريج وصبي[4] آخر أراد اللفظ» .

وقال ـ ﷺ ـ : «بينما رجل يسوق بقرة [إذ ركبها][5] فقالت له : إني لم أخلق لهذا ، وإنما خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ، بقرة تتكلم ؟فقال النبي ـ ﷺ ـ : «فإني آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر» وماهما في القوم وقال : وبينما راع يرعى غنما [إذ عدا[6]] ذئب فأخذ شاة فخلصها منه الراعي ، فالتفت إليه الذئب وقال : من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري . فقال الناس : سبحان الله ، ذئب يتكلم ؟! فقال النبي ـ ﷺ ـ «فإني آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر»[7] وماهما في القوم .

وقال : «إن الله عفا عن أمتي الخطأ والنسيان وماحدَّثَتْ بهِ نفسها

---

(١) الآية : ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية : ٣٨ من سورة النبأ .

(٣) الآية : ٦٥ من سورة يس .

(٤) متفق عليه . انظر : صحيح البخاري (٤/١٤٠) ، ومسلم (٤/١٩٧٦) .

(٥) في الأصل (إذا ركبها) .

(٦) في الأصل (إذ غدا) بالغين المعجمة .

(٧) انظر الحديث في : صحيح البخاري (٤/١٤٩) . عن أبي هريرة .

مالم تكلم به أو تعمل به»[1] فلم [يسم][2] حديث النفس كلاما . وقال : «إن صلاتنا هذي لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»[3] . ورأى النبي ـ ﷺ ـ [رجلا][4] قائما في الشمس ، فقال : «ما شأن هذا ؟» . قالوا : هذا أبو[5] إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يجلس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم . قال : «مروه فليتكلم وليجلس وليستظل وليتم صومه»[6] وقال : «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا [أمرا][7] بمعروف أو نهيا عن منكر ، وذكر الله ـ عز وجل ـ[8] وقال : «رحم

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة بلفظ : «إن الله تجاوز لي عن أمتي ماوسوست به صدورها مالم تعمل أو تتكلم به» . البخاري (٣/١١٩) ، ومسلم (١/١١٦) وأما اللفظ المذكور أعلاه فهو لابن ماجة . عن أبي هريرة انظر : سننه (١/٦٥٩) وجامع العلوم والحكم لابن رجب (ص ٣٢٥) .

(٢) في الأصل (يسمى) والصواب : حذف الياء للجزم .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨١) .

(٤) في الأصل (رجل) بالرفع والصواب ماأثبت .

(٥) هو : أبو إسرائيل الأنصاري أو القرشي اسمه تيسير . قال ابن حجر : ليس في الصحابة كني بأبي إسرائيل غيره . انظر : الإصابة (٤/٦) .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٢٣٤) .

(٧) في الأصل (أمر) بالرفع ، والصواب النصب .

(٨) صحيح . أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن (٢٠ /١٣١٥) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد (٤/٦٠٨) .

الله [من تكلم][1] فغنم أو سكت فسلم»[2] والأخبار الدالة على هذا أكثر من أن تحصى ، وكذلك الصحابة ، فمن ذلك : حديث أبي بكر حين «رأى امرأة من الخمس[3] لاتتكلم ، فسأل عنها ، فقالوا : حجت مصمتة ، فقال : إن هذا لا يحل ، فتكلمت»[4] .

وقال عمر بن الخطاب : «من كثر كلامه كثر سقطه»[5] .

وقل رجل[6] لسلمان : «أوصني . قال : لا تتكلم . قال : فكيف يصبر رجل على أن لا يتكلم ؟ قال : فإن كنت لا تصبر عن الكلام فلا

---

(١) في الأصل (أمن تكلم) والصواب ما أثبت .

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير ، والخطيب في الفقيه والمتفقه ، والقضاعي في مسند الشهاب ، والإمام أحمد في فضائل الصحابة ، وفي كتابه (الزهد) ، ورواه وكيع بن الجراح في كتابيهما «الزهد» . وجميع طرقه عند هؤلاء ضعيفة ، وذكر الألباني أن الحديث عنده حسن . أ . هـ قلت : ولعل وقفه على ابن عباس أصح .

انظر : فيض القدير (١٤/٤) ، ومسند الشهاب (٣٣٨/١) ، وفضائل الصحابة (٩٥٢/٢) ، والزهد لأحمد (ص ١٨٨) ، الزهد لوكيع (٥٥٠/٢) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٣٥/٢) ، الفقيه والمتفقه (١٤٨/٢) .

(٣) الخمس : جمع أخمس : وهو المشدد على نفسه في الدين ، والخمس طائفة من العرب كانوا يتشددون في دينهم فكانوا لا يستظلون أيام منى ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم محرمون ، ويطوفون البيت عراة ، حتى لا يطوفوا بثياب عصوا الله فيها .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ . وأخرجه الترمذي بلفظ : «نذرت امرأة أن تمشي إلى بيت الله . فسئل النبي ـ ﷺ ـ عن ذلك ، فقال : «مروها فلتركب» . انظر : السنن (١١١/٤) .

(٥) أورده الإمام أبو حاتم البستي في روضة العقلاء (ص ٣١) وتتمته : «ومن كثر سقطه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه» .

(٦) هو : الصحابي الجليل ، كان يلقب نفسه سلمان الإسلام . أصله من بلاد (أصبهان) عمر طويلا ، قيل إنه عاش (٣٥٠) سنة . قال ابن حجر : أما (٢٥٠) سنة فلا يختلف فيها . قال فيه النبي ـ ﷺ ـ : «سلمان منا أهل البيت» . كان كثير الصدقة ، إذا خرج عطاؤه تصدق به .

انظر : سير أعلام النبلاء (٥٠٥/١) ، وطبقات ابن سعد (٧٥/٤ ، والإصابة (٦٢/٢) .

تكلم إلا بخير أو اصمت»[1] .

ويروى عن سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ أنه قال : إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب .

ونظمه بعضهم فقال :

إن كان من فضة كلامك يانفسي فإن السكوت من ذهب

وقال مالك[2] بن دينار : لو كلف الناس الصمت لأقلوا من الكلام .

وقال بعض[3] الشعراء :

وحديثها السحرُ الحلالُ لو انَّهُ لم يجنِ قتل المسلم [المتحرز[4]]
إن طال لم [يُمْلَلْ][5] وإن هي أوجزت ودّ المحدّثُ أنها لم تُوجِزِ

وقال آخر[6] :

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ ، ومعناه يدل عليه جملة أحاديث صحيحة ، كحديث مسلم عن أبي سعيد الخدري : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» . انظر : صحيح البخاري (١٣٥٣/٣) .

(٢) هو : مالك بن دينار السلمي الناجي البصري ، أصله من بلاد (كابل) ، تابعي تقي حافظ ورع ، كان يكتب المصاحف ويتقوت بأجرته . توفي سنة (١٢٧) للهجرة .

انظر : تهذيب التهذيب (١٤/١٠) ، وشذرات الذهب (١٧٣/١) .

(٣) القائل : هو الشاعر : علي بن العباس . انظر : الأمالي لأبي علي القالي (٨٤/١) .

(٤) في الأصل (المتحرزا) وهو خطأ .

(٥) في الأصل (يملك) والصواب ما أثبت .

(٦) هو أبو بكر بن دريد الأزدي . توفي سنة (٣٢١هـ) من شيوخ أبي علي القالي . ألف كتاب الجمهرة في اللغة ، كان عالما باللغة والأدب والأنساب ، وبرع في الشعر حتى قيل فيه : «أشعر العلماء ، وأعلم الشعراء» .

انظر : الأمالي (٨٤/١) .

من الخفرات البيض وَدَّ جليسُها إذا ماقضت [أحدوتة[1] لو تعيدها]

وقال آخر :

وحدثني عن مجلس كنت زينه رسول أمين والوفود شهود
فقلت له : ذكر الحديث الذي مضى وذكرك من بين الحديث أريد

وقال أهل العربية : الكلام من ثلاثة أشياء : اسم وفعل وحرف معنى . وقال : الكلام ما أفاد المستمع .

قال الحريري[2] :

حد الكلام ماأفاد السمَع نحو سعى زيد وعمر ومتبع

وقالوا : الكلام لا ينتظم إلا من [كلمتين][3] اسم وفعل ، أو اسم وحرف في النداء خاصة .

وأجمع الفقهاء على أن من حلف لا يتكلم ، أنه يحنث بالنطق ، ولا يحنث بحديث النفس .

[فصل]

وإذا تقرر أن الكلام هو المشتمل على الحروف المنظومة ، والكلمات المعلومة ؛ بطل قول من ادعى أن القرآن اسم للمعنى ، لاتفاقنا على أنه كلام الله تعالى .

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) هو : محمد بن القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري . ولد سنة (٤٤٦هـ) . أديب كاتب ، صاحب المقامات الحريرية وملحة الأعراب ، ودرة الغواص في أوهام الخواص . وقد تولى عدد من العلماء شرح الملحة بين موجز ومطنب . وتوفي سنة (٥١٦هـ) .

(٣) في الأصل (اسمين) والصواب ماذكرناه ؛ لأن الفعل والحرف لا يسميان اسما .

فإن قالوا : فقد قال الأخطل[1] :

إن الكلام [لفي][2] الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الكلام دليلا

قلنا : سبحان الله ، هذا من أعجب الأشياء وأظرفها ، فإنهم تركوا قول الله تعالى ، وقول رسوله ـ ﷺ ـ وقول أصحابه ، وقول سائر الناس ، وقول الشعراء ، وقول أهل العربية [الذين[3]] ذكروا حقيقة الكلام وشرحوه ، وبينوا حده [لكلمة][4] نسبت إلى الأخطل النصراني الخبيث ، لاتدري أصحيحة عنه أم متقولة .

وقد سمعت شيخنا أبا محمد[5] بن الخشاب ـ رحمة الله عليه ـ وكان إمام أهل عصره في العربية ، يقول : قد فتشت دواوين الأخطل العتيقة ، فلم أجد هذا البيت فيها .

وقال أبو نصر السجزي : إنما قال الأخطل : إن البيان من الفؤاد فحرفوه وقالوا : إن الكلام ، ثم لو صح ذلك فإنما سماه كلاما ، مجازا .

---

(١) هو : أبو مالك غياث بن غوث التغلبي ، نشأ في العراق بين قومه تغلب ، وهو شاعر نصراني فصيح ، سليط اللسان ، مدمن على شرب الخمر ، حتى إنه كان يدخل على الخليفة عبد الملك بن مروان ، ولحيته تقطر خمرا ، وبقي مقربا عند خلفاء بني أمية . توفي سنة (٩٢هـ) وله (٧٠) سنة .

انظر : البداية والنهاية (٩٧/٩) وتاريخ الأدب العربي (ص ١٦١) .

(٢) في الأصل (من) والمحفوظ ما أثبت .

(٣) في الأصل (الذي) .

(٤) في الأصل (الكلمة) بالتعريف ولامعنى لها إلا بالتنكير .

(٥) هو : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن نصر الخشاب البغدادي اللغوي النحوي ، والمحدث المفسر ، والفقيه الورع . ولد سنة (٤٩٢هـ) قال الموفق بن قدامة عنه : «حضرت كثيرا من مجالسه للقراءة عليه ، ولم أتمكن من الإكثار لكثرة الزحام عليه» . توفي سنة (٥٦٧هـ) .

انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٣٦/١) ، وسير أعلام النبلاء (٥٢٣/٢٠) .

يعني : أن عقلاء الناس لا يتكلمون إلا بعد روية وفكر واستحضار معنى الكلام في القلب كما [قيل][1] : لسان الحكيم من وراء قلبه ، فإذا أراد أن يتكلمْ نظر ، فإن كان له قال ، وإلا سكت ، والأحمق إنما كلامه على طرف لسانه .

ويتعين حمل قوله على المجاز [لثبوت][2] حقيقة الكلام في النطق بما قد ذكرنا يقينا ولأن حقيقة الشيء ما يتبادر إلى الإفهام من إطلاق اللفظ به ، وهو ماقلنا ؛ ولأن تأويل كلمة الأخطل [بحملها[3]] على مجازها [أولى][4] من تأويل قول الله ، وقول رسوله ، وقول سائر الخلق .

ثم إن قدرنا أن كلام الأخطل لا يحتمل التأويل ؛ فنسبة الخطأ إليه أولى من نسبته إلى أهل العربية الذين ذكروا حقيقة الكلام ، وقولهم لا يحتمل التأويل أيضا .

ثم لو قدرنا خلو كلام الأخطل عن [معارض[5]] لم يجز أن يبنى مثل هذا الأصل العظيم وتأسيس مذهب برأسه على كلمة شاذة نادرة لا يعتقدها دليلا مع إمكان خطأ قائلها ، فإنه ليس بمعصوم عن الخطأ ، ولا هو من أهل الدين والتقى : نصراني يقذف المحصنات ، ويهجو الأنصار ، ويعيب الإسلام ، فلو لم يكن في مذهبهم من العيب ، إلا أن أساسه كلمة من قول الأخطل ، لكان من أشد العيب ، فكيف وقد خالفوا ربهم ـ تعالى ـ ونبيهم ـ ﷺ ـ وسائر أهل اللسان ـ من المسلمين وغيرهم .

---

(١) في الأصل (قال) والصواب ما أثبت .
(٢) في الأصل (الثبوت) والصواب ما أثبت .
(٣) في الأصل (مجملها) ولعل الصواب ما أثبت .
(٤) في الأصل (أولا) غير واضحة ، ولعل الصواب ماأثبت .
(٥) الكلمة في الأصل غير واضحة ، ولعل الصواب ماأثبت .

فما مثلهم إلا كمثل من بنى قصراً شامخا وجعل أساسه أعواد القنب[1] في مجرى السيول .

ولقد حدثني أبو المعالي أسعد[2] بن منجا ، قال : كنت يوما قاعدا عند الشيخ أبي [3] البيان ـ رحمه الله ـ فجاءه ابن[4] تميم الذي كان يدعى : الشيخ الأمين ، فقال له الشيخ بعد كلام جرى بينهما : ويحك ما أنجسكم !! فإن الحنابلة [إذا][5] قيل لهم : ماالدليل على أن القرآن بحرف وصوت ؟

قالوا : قال الله ـ تعالى ـ وقال رسوله ـ وذكر الشيخ الآيات والأخبار ـ وأنتم إذا قيل لكم : ماالدليل على أن القرآن معنى في النفس ؟ .

---

(١) يراد به : الزرع والكرم ، انظر : لسان العرب (٦٩٠/١) .

(٢) هو : أبو المعالي أسعد بن المنجّي ـ بالتضعيف ـ ابن أبي المنجي التنوخي الدمشقي الحنبلي ، ولد سنة (٥١٩هـ) ، شيخ الحنابلة في عصره . تولى قضاء حران . له : عدة كتب في الفقه ، منها : «النهاية شرح الهداية» في بضعة عشر مجلدا ، وكتاب «العمدة» و «الخلاصة» وهذه كلها لا تزال مفقودة . توفي سنة (٦٠٦هـ) .

انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٤٩/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٤٣٦/٢١) ، وشذرات الذهب (١٨/٥) .

(٣) هو : الشيخ نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الحوراني الشافعي . من أصحاب الأثر . لغوي زاهد . سمع من أبي الحسن الموازيني . وروى عنه أسعد بن المنجا ، كان شيخا للبيانية ، محبا للغة والآدب . توفي سنة (٥٥١هـ) .

انظر : الذهبي سير أعلام النبلاء (٣٢٦) ، وطبقات الشافعية (٣١٨/٤) .

(٤) هو : أبو عبد الله محمد بن تميم الحراني ، الفقيه الحنبلي ، صاحب المختصر في الفقه ، درس على الشيخ مجد الدين ابن تيمية .

انظر : ذيل طبقات الحنابلة (٢٩٠/٣) .

(٥) في الأصل (إذ) ولعل الصواب ماأثبت .

قلتم : قال الأخطل : إن الكلام من الفؤاد إيش[1] هذا النصراني ، خبيث بنيتم مذهبكم على بيت شعر من قوله ، وتركتم الكتاب والسنة .

فهذا ببديهة العقل يعرف فساده وإذا تأمله متأمل علم أنه لا شيء .

الحادي عشر : أن هذا الكتاب العربي إذا لم يكن كلام الله فكلام من هو ؟! .

[فصـــل]

فإن قالوا : هذا كلام جبريل .

قلنا : هذا فاسد لوجوه :

أحدها : أن المسلمين أجمعين إذا تلوا آية ، قالوا : قال الله تعالى : فإن [كان[2]] هذا قول جبريل ، فليقولوا : قال جبريل . وليفصح بذلك هذا القائل ولا ينافق فيعتقد أنه من جبريل ، ويظهر موافقة المسلمين في أنه قول رب العالمين .

الثاني : أن هذا بالإجماع كتاب الله . وعلى قوله : هذا كتاب جبريل .

الثالث : أن الحجة عند العلماء إنما هي قول الله ـ تعالى ـ وقول رسوله محمد ـ ﷺ ـ وإجماع أمته . وهذا عند هؤلاء ما هو وارد منها فلم يحتج به . وأين تكون الحجة الثالثة ؟! .

---

(١) كلمة دارجة غير فصيحة . وردت قديما على لسان بعض السلف ، كالإمام أحمد بن حنبل ، وأصلها عربي ، فهي مختصرة من (أي شيء) .

(٢) ساقطة من الأصل .

الرابع : أن الله تعالى قال :

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ .(١)

وعلى قولهم : ما نزله من ربك ، إنما نزله من كلام نفسه وقوله .

الخامس : أنه قد روي عن النبي ـ ﷺ ـ أن [الله](٢) قرأ طه ويس قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي(٣) عام .

فعلى هذا يكون الله قرأ كلام جبريل .

السادس : إن كان هذا كلام جبريل وهو مخلوق ، فلِم تجب الكفارة على من حلف به وحنث ؟ والكفارة لا تجب بالحلف بالمخلوق . ولم يمتنع المحدِث من مسه ، والجنب من قراءته ، والمسافر من السفر به إلى أرض العدو ، ولِمَ جاز للمصلي تلاوته ، واشترطت قراءته فيها وفي الخطبة .

السابع : أن الله تعالى قال :

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسمعَ كَلامَ [اللهِ]﴾(٤) .

وقال : ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ [اللهِ] ﴾(٥) .

---

(١) الآية : ١٠٢ من سورة النحل .

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) رواه ابن خزيمة عن أبي هريرة في كتاب التوحيد (ص ١٦٦) والدارمي في سننه (٤٥٦/٢) ، وفي سنده إبراهيم بن مهاجر بن مسمار ، ضعفه يحيى بن معين وقال عنه : «إنه منكر الحديث» . وقال النسائي : ليس بالقوي . وقال ابن حاتم : منكر الحديث جدا . قلت : متن الحديث موضوع . انظر الضعفاء للعقيلي (٦٦/١) والضعفاء والمتروكين للدارقطني (ص ١٠٧) ، والمجروحين (١٠٨/١) . وفي سنده عند الدارمي عمر بن حفص بن ذكوان متروك الحديث انظر ميزان الاعتدال (١٨٩/٣) .

(٤) الآية : ٦ من سورة التوبة .

(٥) الآية : ٧٥ من سورة البقرة .

فعلى قول هؤلاء ماهذا[1] صحيحا ، وما يستمع به السامع إلا كلام جبريل ، وما عندهم لله ـ تعالى ـ [كلام][2] يسمع .

وقال تعالى : ﴿ يَستمِعون القرآنَ ﴾ [3] .

وقال تعالى : ﴿ وإذا قُرِىءَ القرآنُ فَاسْتَمِعُوا ﴾ [4] . وما عند هؤلاء قرآن يقرأ ولا يسمع .

الثامن : أن النبي ـ ﷺ ـ قال : «إن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي»[5] .

وقال أبو بكر : ماهذا كلامي ، ولا كلام صاحبي ، ولكنه كلام[6] الله تعالى» . وكان عكرمة[7] يقبِّل المصحف ، ويقول : كلام ربي .

وعلى قول هؤلاء : هذا كلام جبريل .

---

(١) بالنصب خبر (ما) الحجازية : مثل قوله تعالى : ﴿ ماهذا بشراً ﴾ .

(٢) في الأصل (كلاما) والصواب الرفع .

(٣) الآية : ٢٩ من سورة الأحقاف .

(٤) الآية : ٢٠٤ من سورة الأعراف .

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (٤٤٠/٢) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٢٢/٢ ـ ٢٢٩) ، والترمذي في جامعه (١٨٤/٥) ، وأبو داود ؛ مختصر السنن (١٢٧/٧) كلهم رواه عن جابر بن عبد الله .

(٦) ذكره ابن حجر في الفتح ٤٥٤/١٣ .

(٧) هو : أبو عبد الله عكرمة البربري مولى ابن عباس . قال عن نفسه : كان ابن عباس يضع رجلي بالقيد على تعليم القرآن . تابعي حافظ ثقة . توفي سنة ١١٧هـ .
انظر : تذكرة الحفاظ (٩٧/١) ، وتهذيب التهذيب (٢٦٣/٧) .

[فصـــــل]

فإن قالوا : هذا قول محمد ـ ﷺ ـ فهذا باطل لهذه الوجوه[1] كلها .

ومن وجه آخر : وهو أنهم وافقوا الوليد بن[2] المغيرة في قوله :

إن هذا إلا قول البشر ، ولهم من الجزاء ماوعد به الوليد بقوله تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [3] فهم رفقته في سقر كما وافقوه في [زعمه][4] إن هذا إلا قول البشر .

ويرد عليهم من الجواب ما أجاب الله ـ تعالى ـ به المشركين بقوله سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾[6] .

وسائر الآيات الدالة على الرد على قائل هذه المقالة ، وتصير مناظرتهم مع رب العالمين ، وخصمهم أحكم الحاكمين وأصدق

---

(١) يعني الوجوه الثمانية التي يرد بها على الزعم أن القرآن من كلام جبريل .

(٢) هو : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . زعيم من زعماء قريش ، وطاغية من طغاتهم ، ومات على الشرك ، وهو زعيم بني مخزوم ، ووالد خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ .

انظر : الكامل لابن الأثير (٢/٥٢) .

(٣) الآية : ٢٦ من سورة المدثر .

(٤) ساقطة من الأصل .

(٥) الآيتان من سورة الطور ٣٣ ـ ٣٤ .

(٦) الآية : ٢٣ من سورة البقرة .

الصادقين ، وقدوتهم ومشايخهم رؤوس المشركين الذين قالوا [فيما قال الله عنهم] : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ [فقد جاؤا ظُلْمًا وَزُورًا] وقالوا أساطيرُ الأوّلين اكتتبها فهي تُملىٰ عليهِ بكرةً وَأَصِيلًا﴾ (١) .

فنحن نكتفي برد الله تعالى عليهم ومانحتاج إلى شيء سواه ، ففي الله ـ تعالى ـ كفاية .

ومتى رضوا لأنفسهم بهذا المقام ، انقطع معهم الكلام ، وزال الحجاج والخصام .

الثاني : أن الله ـ تعالى ـ أنزل على عبده الكتاب ، وشهد الله وملائكته بإنزاله : ﴿والذينَ آتيناهُمُ الكتابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالحَقِّ﴾ (٢) .

وعلى قول هؤلاء : ما أنزل الله على بشر من شيء ، وردوا شهادة الله وملائكته ، وكذبوا قوله تعالى الله عما يقول [الظالمون(٣)] علوا كبيرا .

وإن قالوا : هذا قولنا [رد] (٤) عليهم كما ذكرنا ، ويزيد أنهم كذبوا الله تعالى في قوله : ﴿ قُل لَّئِنِ اجتمعَتِ الإنسُ والجِنُّ علىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظَهيرًا ﴾ (٥) .

وعلى قولهم : قد أتوا بمثله . وقال الله تعالى : ﴿فليأتوا بحديثٍ مِّثلِهِ إِنْ كانوا صَادِقين ﴾ (٦) .

---

(١) الآيتان : ٣ ـ ٤ من سورة الفرقان .

(٢) الآية : ١١٤ من سورة الأنعام .

(٣) بالأصل (الضالون) بالصاد المعجمة ، والصواب ماأثبت .

(٤) في الأصل (ورد) والصواب حذف الواو ليستقيم المعنى .

(٥) الآية : ٨٨ من سورة الإسراء .

(٦) الآية : ٣٤ من سورة الطور .

وقال تعالى : ﴿ وإنْ كنتم في ريبٍ ممّا نزّلنا على عبدِنا فأتوا بسورةٍ مِن مّثلِهِ وادعُوا شهداءَكم مِن دونِ اللهِ إن كنتم صادقين فإنْ لّمْ تفعلوا ولن تفعلوا [فاتقوا النار التي وقودُها الناسُ والحجارة] ﴾ [1] .

فأخبر الله أنهم لن يفعلوا ، وهؤلاء يقولون : قد فعلنا ، وهذا قولنا وكلامنا .

ولعمري ما جسر الكفار ـ مع فصاحتهم وقدرتهم على أنواع الكلام الفصيح من الشعر والنثر والنظم والخطب البليغة والرسائل الحسنة ـ على دعوى هذا بعد أن عرض عليهم وتحدوا به ، فأقروا بالعجز عنه .

فكيف ادعى هؤلاء مع لكنتهم [2] وعِيِّهم أن هذا الكلام القديم قولهم وتصنيفهم ؟!

الثالث : أن هذا إن كان حقا فيجب أن يفصحوا به ويظهروه لسلاطين المسلمين وعامتهم ، ويعلنوه في محافل المسلمين وجماعتهم ، ويقولوا على منابر المسلمين : هذا تصنيفنا وكلامنا وتأليفنا وقولنا ، ولا يسلكون سبيل الزنادقة الذين أَسَرُّوا الكفر واعتقدوه ، وأظهروا الإسلام ووافقوا المسلمين فيه .

وهؤلاء قد سلكوا مسلكهم ، واتبعوا طريقتهم : يعظمون القرآن في الظاهر بين المسلمين ويحترمونه ، ويقومون للمصحف ويقبّلونه ويرفعونه على رؤوسهم ، ويقولون : هذا قول الله تعالى ، وكلامه القديم وكتابه الحكيم ، ثم يعتقدون أنه قولهم وعبارتهم ، وأنه كلام للمخلوقين : ما لله في الأرض كلام ، ولا هذا بقرآن ، ولا في المصاحف إلا الورق والمداد ،

---

(١) الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ من سورة البقرة .

(٢) في الأصل (لكنهم) بدون تاء ، والصواب ما أثبت ، والمعنى كيف يدعون هذا مع عجمتهم .

ولا يشتمل إلا على العفص[1] والزاج[2] ، فعل الزنادقة والطرقية المارقية .

فإن كان قولهم حقا ، وجب إظهاره ، وتبيينه للخلق ليصير إليه . ويعلموا أنه كما فعل النبي ـ ﷺ ـ في إظهار الإسلام وبيان شريعته وتعريفها لمن آمن [به][3] وصدقه ، ولم يكتم ذلك عن أمته .

فهلا اقتدوا بالنبي ـ ﷺ ـ ولم يقتدوا بالزنادقة والمنافقين الذين أظهروا الإسلام وموافقة أهله ، وأسروا الكفر والزندقة .

فإن كان قولهم حقا فقد كتموه [وداهنوا][4] أهل الباطل وأظهروه . وإن كان باطلا فقد أسروا الباطل واعتقدوه ، فما خلوا من الباطل في الحالين ، والحمد لله على العافية من بلائهم ، والسلامة من دائهم .

الرابع : إن كان قولهم فكيف يحتجون به في مناظرتهم ومحاوراتهم ، فإن كلام الإنسان ليس بحجة له بغير خلاف .

الخامس : أنهم نسبوا قصائد الشعر إلى قائلها ، [ولم][5] يدعوا أنها قولهم ، ولو ادعوا ذلك لكذبهم الناس أجمعون ، ولو أن [إنسانا][6] سرق بيتا من الشعر ادعاه لنفسه ، سمي سارقا وعيب بذلك ، فكيف من يدعي أنه قال القرآن العظيم الذي اعترف بالعجز عن مثله الخلق كلهم أجمعون .

---

(١) العفص : نبات يتخذ منه الحبر وهو مولد ، فليس من كلام العرب ولا ينبت في أرضهم . انظر : لسان العرب (٥٤/٧) .

(٢) الزاج : نوع من الأدوية وهو من أخلاط الحبر ، فارسي معرب . لسان العرب (٢٩٣/٢) .

(٣) في الأصل (بها) بدل (به) وما أثبتناه لعله أوضح .

(٤) في الأصل (وواهنوا) من الوهن ، ولا معنى له هنا ، والصواب ما أثبت .

(٥) في الأصل (ولهم) والصواب ما أثبت .

(٦) في الأصل (انسان) بالرفع ، والصواب النصب .

فصـــــل

فإن قيل : فما الدلالة على الصوت في كلام الله تعالى ؟

قلنا : الكتاب والسنة والإجماع .

فأما الكتاب : فقول الله تعالى : ﴿ **وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكليمًا** ﴾ (١) .

وقال : ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّه﴾(٢) . وقال : ﴿منهم مَنْ كَلَّمَ اللهُ﴾(٣) والتكلم هو ما يَسمعه المكلَّم ويصل إلى سمعه ، ولا يكون إلا بصوت . وكذلك قوله تعالى : ﴿ **ونَادَيْنَاهُ مِن جانبِ الطورِ الأيمنِ وقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً** ﴾(٤) . والنداء لا يكون إلا [بصوت](٥) وفي القرآن من هذا كثير .

وأما السنة : فقول النبي ـ ﷺ ـ : «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»(٦) . وروي ذلك موقوفا على عبد الله بن مسعود . فروى عبد الله(٧) بن أحمد في كتاب(٨) الرد على الجهمية أنه قال : قلت :

---

(١) الآية : ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) الآية : ١٤٣ من سورة الأعراف .

(٣) الآية : ٢٥٤ من سورة البقرة .

(٤) الآية : ٥٢ من سورة مريم .

(٥) في الأصل (صوت) بالرفع والصواب ماذكرناه .

(٦) لم أطلع عليه بهذا اللفظ : غير أن معناه جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري بلفظ : «إذا أراد الله أمرا في السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعاناً لقوله» .

انظر : صحيح البخاري (٥/٢٢١) ، وانظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ١٥٤) .

(٧) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . ولد سنة (٢١٣هـ) . حافظ ثقة وفقيه مجتهد ، ألف الزوائد على كتابي أبيه : المسند والزهد . وتوفي سنة (٢٩٠هـ) .

انظر : طبقات الحنابلة (١/١٨٠) ، وشذرات الذهب (٢/٢٠٣) .

(٨) هذا الكتاب لم يطبع بعد ، وهو غير كتاب أبيه (الرد على الجهمية) فإنه مطبوع متداول .

ياأبت ، إن الجهمية[1] يزعمون أن الله لا يتكلم بصوت ، فقال : كذبوا ، إنما يدورون على التعطيل . ثم قال : حدثني عبد الرحمن بن [محمد[2] المحاربي] عن الأعمش[3] عن أبي[4] الضحي عن[5] مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : «إذا تكلم الله بالوحي سمع صوته أهل السماء»[6] .

---

(١) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان ، القائلون بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى ، فهم شر الطوائف ، وأول ماظهرت بدعة جهم هذا في بلاد (ترمذ) فيما وراء النهر ، وقتله : سلم بن أحوز المازني في آخر عهد بني أمية .

كما قتل خالدُ بن عبد لله القسري الجعدَ بن درهم ـ أستاذ جهم بن صفوان ـ لزعمه القول بخلق القرآن .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني (٨٦/١) .

(٢) في الأصل (حمد المحازي) بالزاي ، والصواب المحاربي ، وهو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن زياد المحاربي الكوفي . إمام ثقة ، روى عنه : الإمام أحمد بن حنبل . وتوفي سنة (١٩٥هـ) .

انظر : تهذيب التهذيب (٢٦٥/٦) ، وميزان الاعتدال (٥٨٥/٢) .

(٣) هو : أبو محمد سليمان بن مهران الأعمش الأسدي . حافظ ثبت ، كان يلقب بالمصحف لدقة حفظه ، توفي سنة (١٤٨هـ) وعمره (٨٨) سنة .

انظر : سير أعلام النبلاء (٢٢٦/٦) ، وتهذيب التهذيب (٢٢٢/٤) .

(٤) هو : مسلم بن صبيح الهمداني الكوفي العطار ، تابعي ثقة . توفي سنة (١٠٠هـ) .

انظر : تهذيب التهذيب (١٣٢/١٠) ، وتاريخ الثقات (ص ٤٢٨) .

(٥) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية ، اختلف في صحبته . ثقة حافظ ، حارب مع علي بن أبي طالب كل حروبه . توفي سنة (٦٣هـ) .

انظر : تهذيب التهذيب (١١١/١٠) ، والإصابة (٤٩٢/٣) .

(٦) سبق تخريجه قريبا ، فليراجع .

قال أبو نصر [السجزي][1] : وأما في رواية الإمام بقوله[2]

وفي حديث عبد[3] الله بن أنيس أن النبي ـ ﷺ ـ قال : «يَحشر الله تعالى الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد ، فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُد كما يسمع من قرب : أنا الملك أنا الديان[4] .

وفي رواية : فيناديهم بصوت رفيع غير [فظيع][5] . ذكره أبو حذيفة إسحاق[6] بن بشر في كتابه .

وروى أنس [أن][7] النبي ـ ﷺ ـ ذكر أهل الجنة إذا رأوا ربهم ـ

---

(١) في الأصل أبو نصر الحري ، والصواب ما أثبت .

(٢) هكذا في الأصل ولعل الصواب [يقول] والمراد رواية الإمام أحمد عن ابن عمر : أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر ﴿**وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه أنا الجبار المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم) فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا لَيَخِرَّنَّ به ، انظر المسند ٧٢/٢ .

(٣) هو : أبو يحيى عبد الله بن أنيس ـ بالتصغير ـ الجهني ، حليف الأنصار ، صحابي جليل ، أول مشاهده الخندق . توفي سنة (٥٤هـ) .
انظر : تهذيب التهذيب (١٤٩/٥) ، والإصابة (٢٧٨/٢) .

(٤) متفق عليه . وعند مسلم بلفظ : « .... ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أنا الديان . انظر : البخاري (١٩٤/٨) ، ومسلم (٢١٤٨/٤) .

(٥) في الأصل (فضيع) بالصاد المعجمة ، والصواب ماذكرناه .
والحديث صحيح .

(٦) هو : إسحاق بن بشر الكاهلي البخاري ، كان يضع الحديث ، واسم كتابه (المبتدأ) لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب فقط .
انظر : المجروحين (١٣٥/١) والموضوعات لابن الجوزي (٢٠٠/٣) ، والكشف الحثيث (ص ٩٠) .

(٧) ساقطة من الأصل .

تبارك وتعالى ـ فيناديهم بلذاذة صوته[1] .

وأما الإجماع : فإننا أجمعنا على أن موسى سمع كلام الله ـ تعالى ـ منه بغير واسطة ، والصوت هو ماسمع .

وروي عن الصحابة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ إضافة الصوت إلى الله بغير نكير من أحد منهم :

فقال ابن مسعود : «إذا تكلم الله بالوحي يسمع صوته أهل السماء»[2] . وفي الخبر : أن الله تعالى لما كلم موسى ـ عليه السلام ـ ليلة رأى النار فهالته وفزع منها ، فناداه ربه : «يا موسى ، فأجاب سريعا استئناسا بالصوت : لبيك لبيك أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت ؟ قال : ياموسى أنا فوقك وعن يمينك وعن شمالك وأمامك ومن ورائك» . فعلم أن هذه الصفة لا تكون إلا لله تعالى . قال : فكذلك أنت ياإلهي ، كلامك أسمع أم كلام رسولك ؟ قال : بل كلامي اسمع يا موسى[3] .

[وجاء][4] في خبر أن بني إسرائيل قالوا : ياموسى بم شبهت صوت ربك ؟ قال : إنه لا شبه له .

وروي أن موسى لما كلمه ربه ثم سمع كلام الآدميين مَقَتَهُم ، لما وقر في مسامعه من كلام الله تعالى .

---

(١) متفق عليه . وقد أورد ابن القيم الجوزية الأحاديث الواردة بأسانيدها .
انظر : صحيح البخاري (٨/٢٠٠) ، ومسلم (٤/١١٧٦) ، وحادي الأرواح (ص ١٧٩ ـ ٢٠١) .

(٢) سبق تخريجه في (ص ٧٦) وأخرجه البخاري تعليقا انظر الفتح (١٣/٤٥٢) .

(٣) هذا الجزء من الإسرائيليات . وجاء الحديث عن النبي ـ ﷺ ـ بقوله : «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» وهذا الخبر يدل عليه حديث الجارية في الصحيح وغيره ./ انظر : صحيح مسلم (١/٣٨٢) .

(٤) في الأصل (جاءت) والصواب ماذكر .

وهذه الأخبار لم تزل متداولة بين [عدد من[1]] الصحابة والتابعين يرويها [بعضهم[2]] لم ينكرها منكر فيكون [إجماعا[3]] .

فإن قيل : فالصوت لا يكون إلا من حرفين ، ولا يوصف الله تعالى بذلك .

قلنا : الجواب عن هذا ما أجبنا به عن [اعتراضهم[4]] على الحروف فيما تقدم .

ثم نقول : الصوت ماسُمع أو تَأتّىٰ سماعه ، وهذا هو الحد الصحيح ، على أن معتمدنا في صفات الله ـ تعالى ـ ماصح به النقل عن الله ـ تعالى ـ وعن رسول الله ـ ﷺ ـ ، ونصف الله ـ تعالى ـ بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ، ولا نتعدى ، ونتبع سنة رسولنا ـ عليه السلام ـ وسنة الخلفاء الراشدين ممتثلين لقوله ـ عليه السلام ـ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة[5]» .

وقال عبد العزيز بن أبي سلمة[6] الماجشون ـ وروى معناه عن عمر

---

(١) في الأصل (بين أهل من) ولم يظهر لنا بها المعنى ، ولعل ماذكر يتضح به المقام .

(٢) في الأصل (بعظهم) بالطاء المعجمة ، والصواب ماذكر .

(٣) في الأصل (إجمالها) وماذكرناه يستقيم به السياق .

(٤) في الأصل (اعتراظهم) بالظاء المعجمة ، والصواب ماذكر .

(٥) صحيح . أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢٦/٤ ـ ١٢٧) ، وأبو داود ؛ مختصر السنن (١١/٧) ، والترمذي (٤٤/٥) ، وابن ماجة (١٢٠/١) .

(٦) هو : أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون المدني ، لقب بالماجشون لحمرة في خده ، فقيه تابعي وحافظ ، محدث ، أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ألا يفتي الناس إلا مالك بن أنس ، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون . توفي سنة (١٦٤هـ) فى خلافة المهدي .

انظر : تاريخ بغداد (٤٣٦/١٠) ، وشذرات الذهب (٢٥٩/١) .

ابن عبد[1] العزيز ـ فقال : قف حيث وقف القوم فإنهم عن علم وقفوا [وببصر نافذ[2] كفوا] وهم على كشفها كانوا أقوى ، و [بالفضل][3] لو كان فيها أحرى[4] ، فلئن قلتم : حدث بعدهم حدث فما [أحدثه][5]

إلا من رغب عن سنتهم وخالف طريقتهم ، ولقد وصفوا منه مايكفي ، وتكلموا منه بما يشفي ، فما دونهم مقصر ، ولا فوقهم مجسر ، لقد قصر عنهم قوم فجفوا ، وتجاوزهم آخرون فغلوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم ثبتنا الله وإياكم على صراطه المستقيم .

فصـــل

وقد وضح الحق ـ إن شاء الله ـ بما ذكرناه من جهة التفصيل ، ونذكر في هذا الفصل أمورا تدل على أن الصواب فيما قلنا من جهة الإجمال :

فمنها : أن الحق في اتباع السنة ، والضلال في اتباع البدعة ، بدليل الآثار والإجماع .

---

(١) هو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، الخليفة الأموي الراشد ، تولى الخلافة سنة (٩٩هـ) بعهد من سليمان بن عبد الملك ، حكم بالعدل وانتشر في عهده الرخاء والأمن في طول البلاد وعرضها مع قصر فترة خلافته التي لم تدم أكثر من سنتين ونصف ، وتوفي مسموما في رجب سنة (١٠١) من الهجرة .

انظر : سير أعلام النبلاء (١١٤/٥) ، وتاريخ الطبري (٥٦٥/٦) .

(٢) في الأصل (وببصرنا فتكوا) وهو خطأ ، والصواب ماذكر .

(٣) في الأصل (بالفظل ، بالظاء المعجمة ، والصواب ماذكر .

(٤) انظر لمعة الاعتقاد (ص ٩) طبعة الحلبي .

(٥) في الأصل (أحد به) والصواب ماذكرت .

فأما الآثار :

فقول النبي ـ ﷺ ـ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»[1] .

وما أشبه هذا من الآثار .

وأما الإجماع :

فإننا أجمعنا على أن السنة محمودة ، والبدعة مذمومة ، وكل واحدة من الطائفتين تدعي أنها هي السنية والأخرى هي المبتدعة ، والسنة هي طريق الرسول ـ ﷺ ـ وصحابته ومن تبعهم .

والبدعة : ما أحدث في الدين بعدهم بدليل قوله : وإياكم ومحدثات الأمور إلى آخر الخبر . وقوله ـ عليه السلام ـ : «شر الأمور[2] محدثاتها» . وطريقتنا منقولة عن النبي ـ ﷺ ـ [وصحابته][3] ، ومن تبعهم ، وقولهم لم ينقل عن النبي ـ ﷺ ـ ، ولا عن صحابته ، ولا عن أحد من التابعين .

وقيل : أول من قال [به][4] ابن كلاب[5] . فهو محدِث في

---

(١) سبق تخريجه . وهو حديث صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه . انظر : (١٣٩/٨) .

(٣) في الأصل (وصاحبته) والصواب ما أثبت .

(٤) سقطت من الأصل .

(٥) هو : أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان ، أحد المتكلمين ، وهو أول من عرف عنه أنه قال : القرآن قديم ، وكلام الله قائم بالذات ، بلا قدرة ولا مشيئة . وكان يرد على المعتزلة قولهم : القرآن مخلوق . توفي سنة (١٤٥ ـ هـ) تقريبا .
انظر : طبقات الشافعية (٥١/٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٧٤/١١) .

الدين ، فثبت أنه بدعة ، وأنه من شر الأمور ، وأن قولنا هو السنة ، فيكون صوابا ممدوحا .

الثاني : أن دليل قولنا وأساسه الكتاب والسنة والإجماع .

ودليل قولهم : بيت الأخطل ، وشيء من علم الكلام المذموم ، فيكون كل قول بمنزلة دليله .

الثالث : أن قولنا ظاهر بين المسلمين وقولهم : يسرونه ويكتمونه من عامة المسلمين وسلاطينهم .

وبيان ذلك : أننا نعتقد أن هذا القرآن هو القرآن الذي هو كلام الله منزل غير مخلوق ، وأنه سور وآيات وحروف وكلمات ، وأنه قرآن كريم في كتاب مكنون ، وأنه قرآن مجيد في لوح محفوظ ، وأنه حيث تلي وقرىء وسمع وحفظ ، فهو كلام الله ـ تعالى ـ القديم .

ونحن نظهر ذلك ونناظر عليه ، وندعو الناس إليه ، وتعلمه منا السلاطين والعامة والناس كلهم ، إلا من شاء الله تعالى ، وهم يقولون : ليس هذا قرآنا ، وإنما هو عبارة القرآن وحكايته ، وهو مخلوق . فمنهم من يقول : إنه من قول جبريل وتصنيفه .

ومنهم من يقول : قول محمد ـ ﷺ ـ .

ومنهم من يقول : هو قول كل من قرأ ، وما هو قرآن ولا كلام الله ، وما في المصاحف إلا الحبر والورق والعفص[1] والزاج .

وحقيقة مذهبهم : أن ما لله في الأرض قرآن ، ولا في السماء إله ، ولا أن [محمدا[2]] رسول الله ـ ﷺ ـ بل انقطعت رسالته بموته ، وهم لا

---

(١) سبق بيانها .

(٢) في الأصل (محمد) بالرفع والصواب النصب .

يظهرون هذا إلا لبعض الناس ، فلو كان قولهم حقا لأظهروه بين المسلمين ، ولما احتاجوا إلى ستره .

الرابع : أن أقوالنا متفقة متسقة ، وأقوالهم متناقضة مختلفة .

فهم يقولون : أشهد أن محمدا[1] رسول ، ولا يعتقدونه رسولا .

ويقولون : إن القرآن مسموع مقروء متلو مكتوب محفوظ ، وهم لا يعتقدون أن المسموع قرآن ، ولا [المقروء][2] ولا المكتوب ، ولا يعظمون المصاحف ويقولون : لا يجوز للمحدث مسها ولا حملها ، ومن حلف بها وحنث فعليه الكفارة ، وحكامهم يبعثون من عليه اليمين إلى المصحف ليحلف ، وهم لا يعتقدون فيه قرآنا ولا شيئا محترما .

ويقولون : موسى سمع كلام الله من الله بغير واسطة . ثم يقولون : كلام معنى في نفسه ، ليس بصوت ولا يظهر للحس .

ويردون على المعتزلة قولهم : القرآن مخلوق ، ثم يقولون كقولهم : إنه مخلوق .

ويقولون : الله حي موجود يرى في القيامة ، ولكن ماهو في سماء ولا أرض ، ولا فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال ، ولا يعقل وجوده على هذه الصفة .

الخامس : أن قولنا يستند إلى أئمة الإسلام والسادة الأعلام ، المتفق على إمامتهم وعدالتهم ، وفضائلهم مشهورة ، وأقوالهم مأثورة .

وقول خصومنا : يستند إلى قول رجل[3] من أهل الكلام : لا يعرف

---

(١) في الأصل (محمد) بالرفع والصواب النصب .

(٢) في الأصل (ولا المقرى) والصواب ما ذكرناه .

(٣) هو ابن الكلاب ، وقد سبقت ترجمته .

[شيئا][1] من علم الإسلام ، ولا يعلم القرآن ولا الحديث ، ولا الفقه ، ولا النحو ، ولا العربية والحساب ، ولا شيئا من العلوم سوى علم الكلام المذموم .

وأئمة الإسلام أحق بالإصابة ممن خالفهم .

السادس : أن أهل مقالتنا مخصوصون بالدين ، وولاية الله تعالى ، فلا يوجد من له كرامة مشهورة وولاية مأثورة إلا منهم ، وهم أصحاب الزهد والعبادات والولاية والكرامات ، وقد زوى الله عنهم الدنيا وأبرهم بالدين .

وخصومنا أصحاب الجاه والمناصب ، وأصحاب المدارس والرباطات والوقوف [[2]] والأموال والأولاد ، قد آثرهم الله بالدنيا وحرمهم الدين ، فهم أبدا على أبواب السلاطين ، ونوابهم في طلب الدنيا [غارقون][3] وعلى جمعها [حريصون] .

ففي حال الفريقين مايدل ذوي البصائر على أن قولنا هو الحق ، فإن الله تعالى وصف أهل الحق في كل الأمم بالضعف وقلة المال ، ووصف أهل الباطل بالاستكبار وكثرة الأموال والأولاد ، فقال في حق قوم نوح : ﴿**فقالَ الملأُ الذين كَفَرُوا مِن قومِهِ ما نَراكَ إلا بشرًا مِّثلَنا وما نراك اتَّبَعَكَ إلا الذين هُمْ أراذِلُنا**﴾[4] .

وفي قصة ثمود : ﴿**قالَ الملأُ الذين استكبَرُوا مِن قومه للذين استُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ منهم**﴾[5] .

---

(١) في الأصل (شيء) بالرفع ، والصواب النصب .

(٢) هكذا بياض في الأصل .

(٣) في الأصل (غارقين – حريصين) والأولى الرفع كما ذكرناه .

(٤) الآية : ٢٧ من سورة هود .

(٥) الآية : ٧٥ من سورة الأعراف .

وفي قصة شعيب : ﴿**قال الملأُ الذين استكبروا مِن قومِه لَنُخْرِجَنَّكَ ياشُعَيْبُ والذين آمنُوا مَعَك مِن قريتِنا**﴾[1] .

وفي قوم ـ نبينا ـ ﷺ : ﴿**واصْبِرْ نفسَك مع الذين يَدعُون ربَّهُم بالغداةِ والعشي يُريدون وجهَهُ ولا تَعْدُ عيناك عنهم تُريدُ زينةَ الحياةِ الدنيا**﴾[2] الآية .

وقال قيصر ـ ملك الروم ـ لما جاءه كتاب النبي ـ ﷺ ـ يدعوه إلى الإسلام ، سأل: هل يتبعه ضعفاء الناس أو أقوياؤهم ؟ فقيل له : بل ضعفاؤهم .

فقال : هم أتباع الرسل في كل عصر وزمان ، فاستدل بذلك على أنه رسول ، مع كونه ملكا كافرا .

السابع : أن النبي ـ ﷺ ـ وصف الدين أنه يعود في آخر الزمان غريبا بقوله : «بدأ الدين غريبا وسيعود كما بدأ ، فطوبى للغرباء»[3] .

وأهل مقالتنا في هذا الزمان غرباء مستضعفون في أكثر الأمصار ، يُضامون ويُضطهدون ويُخوَّفون ، فهم كأصحاب النبي ـ ﷺ ـ في بداية الإسلام في الضعف وغلبة أعدائهم لهم .

فصح ـ بما ذكرنا من الوجوه ـ أنهم أهل الحق ، وأنهم أتباع سنة رسول الله ـ ﷺ [وسالكو][4] الصراط المستقيم ، وأنهم الغرباء الذين قال النبي ـ ﷺ ـ فيهم : «فطوبى للغرباء»[5] .

---

(١) الآية : ٨٨ من سورة الأعراف .

(٢) الآية : ٢٨ من سورة الكهف .

(٣) رواه مسلم في صحيحه . انظر : (١/ ١٣٠) .

(٤) في الأصل (وسلكوا) ولعل ماذكرناه صحيح ، لاتساقه مع الصفات المذكورة .

(٥) سبق تخريجه قريبا .

فاعتبروا يا إخواني ـ رحمكم الله ـ بما أعطاكم الله ـ تعالى ـ من كرامته ، وخصكم به من اتباع دينه وسنته ، تمسكوا بالسنة كما أمركم نبيكم بقوله ـ ﷺ ـ : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ» .[1] يعني الأضراس .

يريد : استمسكوا بها تمسكا قويا بحيث لا [تلتفتوا[2]] إلى غيرها ، ولا يفوتكم شيء منها ، ولا تنفلت منكم ، واجتنبوا ما نهاكم عنه من المحدثات ، واشكروا الله تعالى على نعمته عليكم ، فقد آتاكم مالم يؤت [أحدا[3]] من العالمين الذين حرموا السنة وابتلوا بالبدعة والفتنة .

واعلموا أن مافاتكم من الدنيا ومتاعها في جانب ماأعطيتموه يسير حقير ، كما قال الله تعالى : ﴿وَفَرِحُوا بالحياةِ الدُّنيا وما الحياةُ الدُّنيا في الآخرةِ إلا متاعٌ﴾[4] .

واعلموا أن الدنيا من أولها إلى آخرها وكل مافيها في جنب ما يؤتاه أدنى أهل الجنة منزلة ـ أقل من قطرة بالنسبة إلى البحر ، فكيف بما يؤتاه أهل الدرجات العلىٰ ، مما لم تره العيون ، ولم تسمعه الآذان ، ولم يخطر على قلب بشر .

جعلنا الله وإياكم من أهلها ، وثبتنا وإياكم على الإسلام والسنة في قوله [واعتقادها[5]] وفعلها .

والحمد لله ، وصلى الله على محمد النبي الأمي ، وآله وصحبه وسلم

---

(١) سبق تخريجه في (ص ٨٠) .

(٢) في الأصل (يلتفتوا) بالياء ولعل ماأثبت أظهر .

(٣) في الأصل (أحد) بالرفع نائب فاعل ، إذا بني (يؤت) للمجهول ، وإن كان الفعل مبنيا للمعلوم فالوجه النصب .

(٤) الآية : ٢٦ من سورة الرعد .

(٥) في الأصل (وعقدها) .

تسليما كثيرا .

قد فرغ من النسخة الأولى المنسوخ منها يوم الخميس سادس جمادى الآخرة سنة ١٢٢٩هـ .

وقد فرغ من هذا يوم السبت رابع عشر عاشوراء سنة ١٢٥٦هـ على يد أفقر عباد الله تعالى إليه :

عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب .

تجاوز الله تعالى عنهم ، ورحمهم وجميع المسلمين

وكان في الأم ما صورته :

فرغ منه يوم الأحد في الغر الأول من ذي الحجة سنة ستة عشر وستمائة .

والله أعلم .

وإلى هنا نصل إلى نهاية المطاف في تحقيق رسالة «البرهان في بيان القرآن» . فإن كان ثمة توفيق فبفضل الله ، أو خطأ فمن طبع الإنسان ، وجل من لا عيب فيه .

وإنْ تَجِدْ عيبًا فَسُدَّ الخَلَلا فَجَلَّ مَنْ لَّا فيهِ عيبٌ وَخَلا

ورحم الله القائل :

كم من كتابٍ تَصَفَّحْتُه وقلت في نفسِيَ أَصْلَحْتُه
حتى إذا طالعتُه ثانيـًا وجدتُ تصحيفا فأصلَحْتُه

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

وصلى الله على نبينا محمد ، وآله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

سعود بن عبد الله الفنيسان

الموضوعـــات

محتويات البحث

المقدمة .....
الموفق ابن قدامة .....
مولده ونشأته .....
شيوخـــه .....
تلاميـــذه .....
آثاره العلمية .....
التعريف بالكتاب المحقق .....
وصف النسخة الخطية .....
موضوع الكتاب المحقق .....
منهج التحقيق .....
القرآن كلام الله .....
الوجه الثاني .....
الوجه الثالث والرابع .....
الوجه الخامس والسادس .....
الوجه السابع والثامن والتاسع .....
الوجه العاشر .....
الأحاديث القولية على بطلان .....
قول أهل التفسير .....
من كفر بحرف من القرآن كفر به كله .....
أقوال بعض السلف في حروف القرآن .....
الإجماع على أن القرآن يقرأ ويجمع ويكتب ويحفظ .....

أحرف القرآن قديمة أم حادثة ؟ .....
فإن قال القائل لا يصح قولكم إن القرآن حروف .....
أقوال السلف في ذم الكلام .....
الأدلة من القرآن بإبطال القول أن الحروف لا تكون إلا من مخارج .....
فضيحة الأشاعرة بزعمهم أن القرآن معنى في النفس .....
الرد عليهم من عشرة أوجه .....
إسناد الكلام إلى البشر حقيقة .....
أهل السنة يستدلون بالنصوص والمبتدعة بالشعر المنحول.....
القرآن كلام الله وحده .....
لوازم قول أهل الضلال في القرآن .....
المبتدعة في القرآن جبناء .....
أدلة القرآن والسنة على إثبات الصوت لله .....
دلالة القرآن على معنى السنة والبدعة .....
اتفاق أهل السنة وتناقض خصومهم .....
أعداء القرآن يلازمون أبواب السلاطين طلبا للثراء .....
أهل القرآن في كل زمان هم قلة .....

دار درويش
طباعة ـ نشر ـ توزيع
ش الوفاء ـ مشعل ـ الهرم

من مطبوعاتنا

من أخلاق الرسول الكريم
صلى الله عليه وسلم

بقلم

عبد المحسن بن حمد العباد

المدرس بالجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة

الناشر

مكتبة الهدى النبوي الإسلامية

بورسعيد

ت : ٢٢٨١١٩

من مطبوعاتنا

رسالتان للمرأة المسلمة

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

١- السفور والحجاب

٢- خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله

الناشر
مكتبة الهدى النبوي الإسلامية
بورسعيد
ت : ٢٢٨١١٩

سيصدر قريبا بعون الله تعالى من مطبوعات مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي .

سمط اللآلي

في الرد على

الشيخ محمد الغزالي

تأليف

أبي إسحاق الحويني